1re. Année, No. 23

Lundi 11-12-1933

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٢ — ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العـــدد

فلسطين . . . .

بين حديد الانتداب الذى يأكل الأجسام ، وذهب الصهيونية الذى يأكل الأرض ، يعيش العربي فى فلسطين عيش المحكوم عليه بالقتل أو النفى ، إذا سلم له بدنه ، لا يسلم له وطنه : وما هذه الصرخة التى صرخها فصكت المسامع الصم ، وبلغت الضمائر الغلف ، الا العارض المنذر فى الحي بالضر يلوعه ، أو الخطر يروعه ، أو الظلم يحيق به !

وان الصرخة للحياة تسلب ، أو للديار تغصب ، لهي الصرخة التى يدوى فيها صوت الحق ، ويمتزج بها أنين العدل ، ويضطرب فيها احتجاج الانسانية على قوم اتخذوها حبالة لاستعمار الاوطان ، ووسيلة لاستعباد الامم

***

كانت البربرية فى العهود الخوالى تغزو سافرة الوجه ، وتنهب ظاهرة اليد ، وتقول صريحة العبارة ، وتعمل واضحة الغاية ؛ فجاءت مدنية اليوم فوضعت اليد الحمراء فى القفاز الأبيض ، وسترت الوجه الكاشر بالنقاب الخادع ، ووفقت بين الناب والفريسة بمعاهدات الصداقة ومؤتمرات السلم ، وصاغت معانى القوة والنصب فى ألفاظ القانون ومصطلحات العلم ، وأشفقت على شعور الانسانية فسمت

الاسترقاق تمدينا، والاغتصاب انتدابا، والحماية وصاية: وعمقت اغوار القلوب السياسية فلا تعرف لماذا حرمت بيع انسان لانسان، وحللت بيع شعب لشعب!

هذه أمة من أسبق الامم قدما في المدنية، وأعرق الشعوب نسبا في الحرية، تسير على دستور رفيع الدعائم أثيل المنبر، ولم يمنعها عرفها الموروث ولا شرعها القائم أن تبيع فلسطين العربية جبرا لنفايات اليهود، وليس العرب من ماليكها، ولا فلسطين من أملاكها! ثم تسخر لضمان هذا البيع الباطل قوة الحكومة وسلطان الدستور، وتمثل تحت العلم البريطاني وعلى موطن المسيح أروع مآسي النذالة!!

***

سلطوا على البلاد الجوع وأرسلوا من ورائه الذهب! فكأنهم قالوا للعربي البائس: إما الوطن ولا حياة، وإما الحياة ولا وطن! فأما الذين قهرهم الفقر وبهرهم المال فقد باعوا أنفسهم وأهليهم بيع الغبن للدخيل، وأما بقايا السيوف وأحفاد الفاتحين فآثروا أن يدفنوا أعزة في ثراها العزيز، على أن يتركوها اذلة لليهود والانجليز، فدافعوا الازمة بالصبر، والانتداب بالعزم، والصهيونية بالمقاطعة، وأروا هذه القوى الثلاث التي حالف بينها الباطل أن العربي الذي غزا العالم ولا يمسك رمقه الا قبضة من سويق وشفافة من ماء، لا يُخذل من قلة، ولا يفشل من جوع!

***

لك الله يافلسطين! لشدّ ما تُكابدين من عسف القوى وكيد الغني وقسوة الظالم!!

ان دموعك منذ الفاجعة لم ترقأ، وجروحك منذ الواقعة لم تندمل، وصوتك الجازع المكروب لايزال يجلجل في اعماق الشرق وآفاق العروبة مستغيثا من الخطب الذى ناء بألمانيا وأنقضَ ظهر الدول اولكن بنيك البواسل يافلسطين يتنافسون في مجد الموت وشرف التضحية! فهل تخشين ان يعيث في أديمك المقدس عائث، وانت ترين شبابك الميامين يخوضون غمرة الهول وراء زعيمهم الشيخ، وصدره الواهن مشبوب بعزم آبائه، وشعره الابيض مخضوب بدم أبنائه؟

الوطن العربي اليوم في البلاء سواء. لأنه فقد الروح الفتية التي كانت تعمره، والحيوية القوية التي كانت تعمره، وأصبح هيكلا متهدم الجرف لا يمسك بعضه بعضا.

على ان فزعته الاجماعية لمظلمة فلسطين تبعث الأمل في عودة تلك الروح ورجعة هذه الحيوية. ولعلها فزعة المغيث المسعف لا فزعة النادب الآسف! فان مصاب فلسطين لا ينفع فيه البكاء ولا يدفع منه الحزن.

***

ان فاجعة وادي الحوارث صورة صغيرة لمصير فلسطين اذا استنام اهلها للوعود، وبيعت ارضها لليهود، وقبض العرب ايديهم عن معونة اخوانهم على دفع هذا الخطب.

وان دول الأرض جمعاء لتعجز عن ايفاء وعد بلفور مادامت الارض في يد العرب، فاذا ما استنزلوا عنها باغلاء الثمن وإغواء الذهب شتتهم القانون وحده تحت كل كوكب.

فان اليهودي انما جاء فلسطين ليشتري وطنا يستعمره، لاحقلا يستثمره، فكل شبر من الأرض يخرج من يد العربي يدخل الى الأبد في الوطن اليهودي، ويومئذ لا يرده الى اهله احتجاج ولا تظاهر.

وما الاحتجاج والتظاهر الا إعلان للحق لا دفاع عنه. والدفاع المنتج عن فلسطين افواه وسياستان:

(١) أن يأخذ الزعماء والعلماء موثقا من الشعب الا يبيع المضطر أرضه لغير العربي مهما خدعته المطامع ودلاه الطامع بغرور

(٢) أن يقوموا بدعاية منظمة قوية في الاقطار العربية، وعلى الأخص في مصر، الى تأليف الشركات العقارية لاستعمار فلسطين.

والعرب الذين فُطروا على نُصرة الأخ، ونجدة الصريخ، ومعونة الضعيف، لا يعرضون عن يد فلسطين التي تمتد، وصوتها الذي يُهيب:

فان كنتُ مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولمـا أمزّق

احمد حسن الزيات

بيــير فيلليه

فى اليوم الرابع والعشرين من شهر اكتوبر الماضى كان قطار من القطر آتيا الى باريس من مدينة «كان» فانحرف عن طريقه وسقطت القاطرة ومعها عربات اربع فى هوة عميقة، وكثر الجرحى والقتلى، وكان بين الذين حملتهم عربات الاسعاف الى مستشفى قريب فات فيه آخر النهار عالم أديب من علماء الفرنسيين وأدبائهم هو الاستاذ بيرفيلليه. ولم تكد الصحف تذيع نعيه حتى وقع من قلوب الادباء المثقفين الفرنسيين موقعا أليما.

وقد طلبت مجلة العالمين الى الاستاذ جوزيف بديه مدير الكوليج دى فرانس واستاذ الفقيد ان ينعاه فى كلمات قصيرة الى قرائها فى العالمين فقبل رغم ما بقلبه من الحزن. وكتب صفحات مؤثرة نترجمها فيما يلى:

كان بير فيليه صاحب الآثار الادبية القيمة ضريراً كما يعلم كثير من الناس. اصابته هذه الآفة بعد مولده بقليل، ولكنه لم يرض قط ان يشير فى اثر من آثاره التاريخية الى هذه الآفة، وكان يكره ان يشير اليها فى مقدمة من مقدماته على انها علة من العلات او معذرة من المعاذير. وكان يصدر فى ذلك عن رأى له فضله فى كتابه «عالم المكفوفين». كان يرى فى هذا الكتاب عزاء لامثاله انهم ليسوا بحال من الاحوال مغلقين كما يقول الناس، وان ليس هناك ميدان من ميادين العمل الاجتماعى او العقلى يؤخذ عليهم ويغلق من دونهم. وان آفتهم يمكن ان تضايقهم ولكنها لا تستطيع ان تعجزهم عن العمل والانتاج، لا يحتاجون فى ذلك الا الى أن تكون قلوبهم قوية صلبة. وان أشد آلامهم، اوقل ألمهم الوحيد، لأنهم لا يرون، انما يأتيهم من هذا الاشفاق الظالم الذى يختصهم به المبصرون. وقد اراد دائما ان يعامل فى مهنته التى كان يحترفها كغيره من الاساتذة، وفى كتبه التى كان يمليها كغيره من المؤلفين كما يعامل غيره من الناس، فينقد ويحكم على آثاره فى غير رعاية ما بأنه ضرير.

أيجب على الآن أن أطيع أمره وأحترم كبرياءه هذه؟ لا. فان الموت قد ألغى هذا الامر. وإذا كان من الحق ان آفته هذه هى التى بعثت فى نفسه أقوى الفضائل وأحقها أن تكون قدوة ومثلا، فانى أستطيع أن أقول ان هذه الآفة نفسها هى التى منحت حياته وآثاره نصيبها الموفور من الجمال، وكل من قرأ هذه الكلمات سيشعر بأنى لا أقول هذا إشفاقا وعطفا، بل حنانا وإكبارا

ولأجل أن أجد فى نفسى أصول هذا الحنان والاكبار يجب أن أرجع بالذاكرة الى عهد بعيد. دخل بير فيليه مدرسة المعلمين العليا فى سنة ١٩٠٠، وكنت حينئذ معلما فيها. كان قبل ذلك تلميذا ينشأ فى معهد العميان الأهلى، ثم اختلف الى غير مدرسة من المدارس الثانوية فى باريس. ثم اقتحم المسابقة لدخول مدرستنا على نفس القواعد والشروط، وفى نفس المواد التى يستبق فيها غيره من المبصرين، لا يميزه منهم الا أنه كان يستعين بغلام أقل منه ثقافة وعلما، فكان هذا الغلام يبحث له فى المعاجم، ويكتب مايملى عليه. فنجح نجاحا حسناً. ونستطيع أن نتصور ما أدركنا نحن الاساتذة من القلق، وما أدرك رئيسنا الطبيب القلب جورج بيرو. كنا نتساءل ماذا نصنع بهذا الغلام الحدث الذى كان يحسن فنون البيان فى أكبر الظن، ولكنه كان ضئيلا نحيلا ضريرا. الى أى نحو من أنحاء العلم نوجهه؟ والى أى غاية نسيره؟ ولاسيما وقد كان يقول إنه لايحب الا التاريخ وتاريخ الآداب خاصة، ولكن كيف كان يعرف هذا النوع من العلم؟ كنا ننظر الى كتبه المكتوبة بالخط البارز والتى اصطحبها حين اقبل الينا فكنا لانجد الا ديوان فرجيل وبعض الآثار الفرنسية الكلاسيكية، وبعض كتب النحو، ومع ان هذه الكتب كانت تزحم غرفته فانها لم تكن فى حقيقة الأمر الا شيئا يسيرا جدا مما يستعين به التلاميذ. ماذا كان يتصور من أمور البحث التاريخى ومصاعبه؟ الم يكن حقا علينا أن نوجهه الى نحو من انحاء هذا البحث العقلى الذى يمكن ان يعتمد فيه الباحث على تفكيره الخاص، فان صاحب مابعد الطبيعة أو الاخلاق أو المنطق أو فقه اللغة، يستطيع الى حد ما أن يعتمد على نفسه. فكان علينا اذن أن نبين له الى أى حد يعرض نفسه لخيبة الأمل إن مضى فى طلب التاريخ، وأن نمحو هذه الآمال التى كان يعلل نفسه بها. ولكنى رأيت الحاحه وحزنه، فاعتزمت سراً أن أخضعه لامتحان لا يعلم به أحد.

فكلفته أن يهيء بحثا عن أسطورة من أساطير لافونتين، وهى أسطورة الطحان وابنه والحمار، ليلقيه فى محاضرة قريبة. فقبل محزونا لانى كنت قد كلفت رفاقه بابحاث اخرى أوسع من بحثه وأعظم خطراً، وكان يحس انى كنت أريد أن أحصره دائما فى التمرينات المدرسية التى كان قد شبع منها حتى أدركته التخمة قبل ان يدخل مدرسة المعلمين، ولم يكن يطمئن الى هذا الموضوع الا حين انبأته بأن استاذى جاستون بارى قد خصص

له صفحات عشرا فى بحثه المعروف عن القصص الشرقى وأثره فى الادب الفرنسى . وكنت اكلفه ان يدرس هذه الاسطورة ، لا فى صورتها بين اساطير لافونتين ، بل فى صورها الكثيرة التى اختلفت عليها . ولم أدله الا على هذا المرجع ثم انتظرت :

وبعد ستة أسابيع او بعد شهرين القى الدرس الذى طلب اليه . فياله من دهش عم رفاقه فى قاعة المحاضرات ! ويا له من فرح ملأ قلبي ! فانه لم يكتف كما كان غيره يكتفى بالتفكير فى هذه النصوص الخمسة أو الستة التى رواها جاستون بارى : فقد اهتدى لا أدرى من أى طريق الى مجلة «بنوء» (الشرق والغرب) حيث كان (جودوك) قد أخذ منذ سنة ١٨٦٠ يسجل مجموعات من الاساطير الشعبية ، وما هى الا ان أراه قد استطاع ان يستكشف نصوصا عشرة أهملها جاستون بارى عمدا أو خطأ . هنالك اعلنت مكيدتى وهى ان اعرض على هذا الطالب الجديد ايسر بحث فى ظاهر الامر ، هذا البحث المهد المطروق لاتبين من أمره ما أريد ، ولأعلم أيكتفى باعادة ماقرأ ، أم يحاول أن يأتى بشىء جديد ، وبينت لرفاقه مصاعب هذا البحث عن الاساطير . وقد كان الناس كلفين به فى ذلك الوقت ، وبينت لهم ما يحتاج اليه الباحث المجد من الجهد والاستقصاء لاستكشاف الصور المختلفة لهذه الاساطير فى كتب غامضة مهجورة ، ثم أنبأتهم بأن جهدا خصبا منتجا للاستقصاء العلمى قد ظهر فى هذا اليوم .

ومالى أطيل الوقوف عند هذه القصة كأنى أريد أن أتحدث عن نفسى ، ذلك لأبين اولا كيف كانت الحياة قديما فى مدرسة المعلمين : كيف كانت صورة من صور التعاون بين الاصدقاء ، يعطى الاساتذة فيها من انفسهم اكثر ما يستطيعون إعطاءه ، ولكنهم يأخذون من طلابهم مثل ما يعطون ، ثم لأن بير فيلليه كثيرا ما كان يذكرنى بهذه القصة فيما بعد ، فى ذلك اليوم اعلن بعض الطلبة المتقدمين الذين لم يسبقهم كثيرون انه مؤمن بهذا الشاب الضرير واثق بفوزه فى هذا النوع من البحث الذى يميل اليه .

ولكن هذا الشاب — بير فيلليه — وجد فى الوقت نفسه بين اساتذته ورفاقه من اعانه على قطع هذه الطريق . وكان منهم الظريف (بير موريس ماسون) والجاد (جبريل ليرو) وكلاهما سقط فى ميدان الشرف اثناء الحرب الكبرى ، ومنهم بول ازار ، وأوجين البرتينى ، وتراشيه ، وموريت ، وبير كومير ، ولويس ريو ، وألكسندر جوانو ، واميه برتو ، وجاك شيفاليه . . . وكم أحب أن أسميهم جميعا هؤلاء الاصدقاء الذين كانوا مثله فى سن العشرين ؛ والذين أعطوه واخذوا منه احسن المثل وأقومها . بهذه التجربة وبتجارب أخرى أمثالها أثبت بير فيلليه أثناء الاعوام الثلاثة التى قضاها فى المدرسة أنه كان قادرا على النهوض بأعباء الاستقصاء العلمى وبأثقلها وأشدها تعقيدا .

ومن هنا دهشت البيئات العلمية ، ولم ندهش نحن حين أظهر فى سنة ١٩٠٨ ، بعد أن ظفر بأجازة الأجر يجاسيون - وبعد أن أتم دراسته فى معهد تير فى ظل اميل بوترو الذى لقيه أحسن لقاء - كتابه الأول الذى عرض فيه مصادر كتاب مونتينى — Essais de Montaigne — وتطور فصوله .

وكان قد فكر فى هذا الكتاب اثناء إقامته فى مدرسة المعلمين ، وشجعه على ذلك الأستاذ جوستاف لنسون ، ولأجل أن يبلغ من هذا البحث ما يريد ، بدأ فنسخ كتاب مونتينى بيده خطا بارزا فكانت نسخته تبلغ عشرين مجلداً . ثم وضع حكم مونتينى وتجاربه فى قصاصات من الورق ، وكانت هذه القصاصات التى رتبها على حروف المعجم تملأ صندوقا ضخما لم يفارقه أعواما طوالا . وكذلك تسلح بهذه الادوات وحفظ كتاب مونتينى عن ظهر قلب على اختلاف نسخه ، ثم أخذ يبحث عن مصادره . فمن أراد أن يقدر هذه المحاولة فليلاحظ ما أحاط بها من الظروف . فقد كان يجب أن يقرأ عليه كل المؤلفين الذين نقل عنهم مونتينى ، وكل المؤلفين الذين كان يرجح أن مونتينى قد عرفهم فى التراجم اللاتينية التى كانت معروفة فى وقته ؛ مثل سكستوس أمبيريكوس ، كزينوفون ، ديوجين ، لارس ، أفلاطون ، وفى التراجم الفرنسية المعروفة فى ذلك الوقت تيودور الصقلى ، هيرودوت ، اريانوس ، وفى النصوص الأولى من لوكريس الى فاليريوس مكسيموس ، أى كل ما كتبته روما القديمة تقريبا . ثم ما كتبه علماء النهضة من إرسم الى جوستايس . وإذن فقد بذل بير فيلليه جهده هذا فى قراءة ألف من الكتاب ، ويمكن أن نقدر غنيمته المادية من هذا الجهد اذا نظرنا فى الجزء الرابع من طبعته لكتاب مونتينى التى ظهرت سنة ١٩٢٠ ورأينا المراجع وقد رتبها على حروف المعجم بثمانية آلاف مرجع تتصل بأربعمائة من المؤلفين كتبوا باليونانية واللاتينية والايطالية والفرنسية .

وبنحو هذه الطريقة وبمعونة طائفة من القراء كانوا يعيرونه أبصارهم اعارة آلية استطاع أن يتتبع تأثر المؤلفين والكتاب بمونتينى ، فاظهر كتاب مونتينى ولوك وروسو ، ثم مونتينى وبيكون ، ثم مونتينى والألاهيين الانجليز . هذه عنوانات لطائفة من أبحاثه ظهرت كتباً أو رسائل . وهذا النحو من اظهار استعارة المؤلفين

(البقيـــة على صفحة ٤٢)

جواب عن « سؤال »

للاستاذ احمد امين

...

وجه الاستاذ علي الطنطاوي في العدد الماضي الينا والى ادباء الرسالة سؤالا ملخصه : أنعمل وغايتنا الأدب للأدب؛ ام نعمل وغايتنا الادب للحياة ؟ ثم سأل لماذا ينصرف أدباؤنا عن الادب القومي الذي يعالج القضية الكبرى ، الى ذلك الأدب الغزلي الضعيف ؟ وقد اجبنا اجمالا في ذلك العدد عن بعض هذا السؤال ؛ وتفضل صديقنا الاستاذ احمد امين فأجاب تفصيلا عن البعض الآخر (المحرر)

لك الحق - كل الحق - يا أخي أن تصرخ ونصرخ معك في وجه زعماء الادب العربي طالبين ان يلتفتوا الى الادب القومي، ويكثروا القول فيه ، فالعالم العربي كله يجيش صدره بآلام وآمال ، والأدب يجب ان يعبر عن هذه الآلام والآمال ، بأسلوبه الرشيق ، وعواطفه القوية ، وخياله الرائع ؛ واذ ذاك يجد الناس غذاءهم فيما يقرءون ، ولذتهم ومتعتهم فيما يسمعون وينشدون ، والناس في كل عصر يتطلبون من الاديب أن يكون موسيقاهم التي تناسب عاطفتهم ، فان كانوا فرحين مرحين كانت الموسيقى فرحة مرحة ، وان كانوا باكين محزونين كانت الموسيقى حزينة باكية ، ومن السماجة أن توقع الموسيقى نغمة فرحة في مأتم ، أو نغمة باكية في عرس ، وقد كان الناس يقصدون الى الشعراء يشرحون اليهم عواطفهم ويطلبون منهم شعرا يناسبها ويرويها .

كان بيت بشار في البصرة مقصدا لهذا النوع من الناس ، يذهب اليه الغزل الذي تجيش في صدره عاطفة الحب ولا يستطيع ان يعبر عنها ليجد بشار من فنه ما يعبر عما في نفسه ، وتذهب اليه النائحات لينشدهن شعرا يستنزف الدمع ويبعث الشجا والشجن

وكل عصر له مطالبه ، وكل أمة لها مواقفها وعواطفها ، ولا خير في الأدب اذا لم يصف الحياة ، ويغذ العواطف ، ويجد الناس في كل موقف يقفونه قولا أدبيا قويا يشرحه ، وشعرا جميلا يعبر عنه

والعالم العربي الآن له عواطف قومية جديدة لم تكن لديه قبل سنين ، هي نتاج التيار الحديث الذي غمر اوربا وسار منها الى الشرق ، فلا مشاعرها ألما عاهي فيه ، كاملا ها أملا في حياة خير من الحياة التافهة التي يحيونها ، ثم التفتوا الى الأدب القديم فلم يجدوا فيه غذاءهم كافيا ؛ ليس فيه شعر يتغنى بالحرية كما نود ، ولا بالقومية كما نحب ، وانما هي أبيات مبعثرة بجملة ، قيلت لوصف مشاعر غير مشاعرنا وفي مواقف غير مواقفنا - وتلفتنا الى الادب العربي الحديث فوجدناه ناقصا كأخيه ، لم يسد الفراغ ، ولم يكمل النقص ، قد أفرط القدماء في الغزل فأفرط المحدثون فيه ، وقصر القدماء في وصف المناحي الاجتماعية والنزعات القومية فقصر المحدثون فيه ، وأصبح ناشئنا لا يجد الغذاء الكافي في القديم ولا في الجديد ، فلك الحق أن تطلب من الزعماء وأن تطلب من الرسالة أن تدعو الكتاب والشعراء أن يلتفتوا الى وجوه النقص فيكملوها ، حتى اذا احتاج الشباب الى نشيد أو أناشيد وجدها . واذا وقف موقفا يتطلب قصيدة في معنى من معاني القومية أو الحرية انطلق بها لسانه ، واذا طرب لمنظر طبيعي في بلاده وجد القصائد قد قيلت فيه واستوفت محاسنه ، وهكذا . ولك أن تطلب من كتّاب الروايات أن يبحثوا عن نواحي الضعف في الحياة الاجتماعية الشرقية ، فيجلّوها ويعالجوها ، وأن يكون لهم نظر صادق في تعرف نفسيات الافراد والجماعات فيحللوها ، وأن يتجه الكتاب الاجتماعيون فيدرسوا أمراض قومهم ، ويستخدموا الادب في الخطب والمقالات تثير مشاعر الناس وتهيجهم ، ليتخلوا عن رذيلة ، ويستكملوا فضيلة ، ويعالجوا نقصا ، وينشدوا كمالا

لك الحق أن تنعى على الادباء أن أكثرهم في الشرق لم يتجه هذا الاتجاه الا قليلا ، وأنهم بين أن ينظموا في الاغراض القديمة ولا يحسنوها احسان القدماء ، وبين أن ينقلوا من الادب الغربي ما فقد روحه ، أو لم يتناسب وروحنا . والا فأين هو أدبنا القومي ؟ وأين التغني بمناظر طبيعتنا ؟ وأين الروايات الاجتماعية تصفنا ؟ لا شيء من ذلك الا القليل الذي لا يتناسب ونهضتنا الحديثة

انا معك في هذا كله ـ ولكن لست معك في انكارك: أن يكون الفن للفن ، والأدب للأدب . ولست معك في أن تطلب أن يكون الأدب للحياة ـ فليس من شك في ان القطعة متى استوفت عناصرها الأدبية كانت ادبا . مهما كان موضوعها الاخلاق . وليس احد ينكر أن قصائد ابي نواس الفاجرة الداعرة أدب ، كما لا ينكر أحد ان الصورة العارية اذا أجيد تصويرها فن جميل ، وان لم ترض عنها الاخلاق . فالأدب للأدب والفن للفن ، ولكن هذا لا يمنع ان تكون سلطة المصلحين فوق سلطة الأدباء : فاذا رأى المصلحون أن ضربا من الأدب يحل الاخلاق ويفك عرى المجتمع ، حاربوه بكل ما استطاعوا من قوة ، واذا رأوا أن ضربا من الأدب في الأمة ضعيف ويجب أن يقوى ، طلبوا الاكثار منه بشتى الوسائل . وشجعوا عليه ومهدوا له السبل ، وهذا هو موقفنا بالضبط .فقد كثر فينا ما نسميه بالأدب المائع كثرة تحل الاخلاق وتضعف الرجولة .وهذا الأدب المائع من غير شك أدب ،وقد يكون أدبا راقيا . ولكن يصح أن نخضعه لنظر المصلح .فاذا كان المصلح الاجتماعي قويا ضرب على هذا النمط من الادب ولو الى زمن محدود ، حتى تستكمل الامة قوتها ورجولتها.ومثل الادب في ذلك مثل العلم،فالادب للادب كالعلم للعلم :فالعلم يبحث كما يشاء ،فاذا أردت أن تستخدم العلم في أشياء عملية كصنع أسلحة وغازات وما الى ذلك خضعت للمصلحة والانسانية وسن لها قوانين. وهذا لم يطعن في أن يكون العلم للعلم ـ فان أردت بقولك ان الادب لا يكون ادبا الا اذا خدم الحياة فانا نخالفك .وان اردت ان المصلحين والدعاة يجب ان يخضعوا الادب لأغراض الحياة الصحيحة فاني موافقك

وبعد ـ فقد غلوت يا أخي في رأيك ، فلم ترد أن يكون في الادب حب الا من نوع خاص ،وأردت من الادب أن يكون قويا وقويا فقط ،وبعبارة أخرى تريد أن تكون حياة الادباء حياة حربية ليس فيها الا القوة وما يبعث على القوة، ليس فيها زهرة جميلة ، لا غزل ظريف ،وأنا أخشى أن الادب باقتصاره على القوة يفقد القوة ،فان للنفوس سآمة ،ويحسن أن يكون بجانب صوت المدفع والقنابل صوت العود والقانون

ولقد كنت أكتب في هذا الموضوع حتى اذا وصلت الى هذا الموضع شعرت بملل . فما هو الا أن سمعت نغمة رقيقة من بيانو فاصغيت اليها حتى استكملتها فعادت نفسي الى نشاطها ـ ألا يكون في هذا مثل صالح للحياة الادبية ؟ جد وهزل . وتغن بالحرية . ونعي على الاستبداد ، وتغزل في زهرة ، وفكاهة حلوة . هذا ـ يا أخي ـ أصلح حتى من الناحية الجدية ، فمن لم يله أبدا قصرت حياة جده وتقبضت نفسه ، ولم يتحمل طويلا مرارة العمل ، وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى . أحب ان تكون الحياة الادبية كفرقة الموسيقى : لا طبلا فقط ، ولا نايا فقط ، بل هما وغيرهما، وعيب حياتنا الادبية الحاضرة انها رخوة فقط . فيجب ان يضاف اليها نغمات القوة ،لا ان تحل النغمات القوية وحدها محل النغمات الرقيقة ، فانا ان فعلنا ذلك كان الادب أبعث على الحياة،واحفظ للقوة، فطمئن نفسك ولا تأس على شاعر طال ليله وارق جفنه حبيب أعرض عنه وابتسامة احتجب عنه نورها ، فمن يدرينا لعل الحب كله من واد واحد ،فمن احب فتاته كان اسرع استعدادا لأن يحب امته ، ويحب ربه ، ومن تحجر قلبه لم يبك على شيء .

وبعد فموقف « الرسالة » كما أفهم من مبادئها يجب أن يكون الدعوة الى تكميل النقص في الادب العربي ، وحث قادته على أن يطرقوا من الابواب ما نحن في أمس الحاجة اليه حتى يكون أدبنا صورة تامة لنا ، وحتى يكون غذاء كافيا لمختلف عواطفنا ، يجب أن يكون موقفها ـ فوق الموقف الادبي ، موقف المصلح ، فترفض أن تنشر الادب الساقط المرذول، المضعف للخلق ، المفسد للرجولة ، ولكن يجب كذلك أن تفسح صدرها لنوع من الادب لا هو بالقوي الذي تتطلب الاقتصار عليه ،ولا هو بالضعيف المائع ، هو أدب الحب العف ، والفكاهة الحلوة البريئة ، والهزل يشف عن

جد، والمزح حبطنا بعظة. ونحو ذلك، فى التزام الجد خروج الى الجفاء، وانحدار الى الجمود

هذا الى أن الرسالة يجب أن تكون بجانب دعوتها الى الاصلاح سجلا للنزعات الادبية على اختلاف أنواعها ما لم تكن النزعة مستهترة، تميط قناع الحياء، وتخرق حجاب الحشمة

وأخيرا لك الشكر — يا أخى — على ما حوى كتابك من غيرة صادقة، وعاطفة نبيلة، وما أثرت من موضوع يستحق العناية، ويدعو الى طول التفكير ؟

أحمد أمين

حول « الوضوح والغموض »

للاستاذ عباس فضلي خماس

روى لنا الدكتور طه حسين فى مقاله (حول قصيدة) حادثة طريفة عن قصيد المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى بول فاليرى، وكان غرضه من استعراض ما دار بين ادباء فرنسة وشعرائها بعد ذيوع هذه القصيدة ان يطرق باب بحث طالما اشتاق الادباء الى طرقه وهو « مقياس فهم الشعر والادب ». وكان بحث الدكتور حائما حول هدف اساسى وهو « هل يحسن بالشعر ان يكون واضحا لا خلاف فيه. او ان بعض الغموض فيه مغتفر بل مطلوب ؟ » وهذا المطلب فى نظرى جدير بالبحث والتمحيص الى حد بعيد؛ ولعل المضى فى استقصائه يؤدى الى اظهار حقائق جديدة فى عالم الأدب، تقلب أوضاعنا الراهنة رأسا على عقب، ويلوح لى ان التوسع فى بحث هذا الموضوع بحثا مستفيضا دقيقا ربما انزل بعض امراء الشعر وملوك البيان الذين اعتلوا فى اذهان الناس العروش الى الحضيض، وربما رفع بعض خاملى الذكر من الشعراء والادباء الى تلك العروش وقدم اليهم معتذرا صولجان الشعر والادب الذى شاءت الاقدار ان يغتصب منهم اغتصابا.

لقد كتب علينا نحن ابناء هذا الجيل ان ندرس الادب درسا آليا كدرس المعادلات الرياضية والرموز الكيماوية. وقد ترتب على طرز دراستنا هذه ان نكون آليين فى نظرنا الى الشعر، آليين حتى فى فهمنا اياه، بل وفى طريقة تفهمنا. وهذه النتيجة خلقت فينا نزعة التقليد لا فى مزاولة الشعر والادب فحسب بل فى طريقة تفكيرنا وفى اساليب محاولتنا فهم اغراضه ومراميه. مبتعدين فى ذلك عن السنن الطبيعية الابتعاد كله. فليسمح لى الاستاذ الكبير بشىء من الحرية فيما أعرض له.

الغموض فى الشعر والادب

للغموض فى الشعر والادب اسباب معينة واضحة؛ اولها ضعف الاسلوب فى التعبير عن الشعور، وثانيها غرابة التعبير وعدم انطباقه على الطريقة المألوفة عند جمهور القراء. وثالثها نقص جزء مهم فى الصورة التى يتخيلها الشاعر ويريد ابلاغها الى النفوس. ورابعها ازدحام جملة من الصور الفكرية وتداخلها فى رقعة واحدة ضيقة بحيث يتعب العين تبينها دفعة واحدة ويجهد الذهن تصور علاقة اجزائها بعضها ببعض. وخامسا اظهار القطعة الفنية قبل نضوجها فى الفكر؛ وقبل اختمارها فى النفس. وسادسا ابتعاد الصورة التى يرسمها الشاعر عن تصور الجمهور ومداركهم مما هو مألوف عندهم ومعهود لديهم فى معارفهم ومشاعرهم الماضية والحاضرة، حتى فى معارفهم ومشاعرهم التخيلية؛ واجزاء الصورة الخيالية التى ترتسم فى ذهن الانسان تكون فى الحقيقة فى المواد التى تتألف منها معارفه ومشاعره الماضية والحاضرة عينها

هذه هى العوامل الاساسية لغموض لغة الشعر والبيان اذا كنا نستند فى بحثنا الى الحقائق الصريحة. اما اذا اردنا ان نموه على القراء فنستطيع ان نقول ما يخرج عن نطاق هذه العوامل ونستطيع ان نرغم الناس على ان يتصوروا فى القطعة المعقدة بسبب من الاسباب الآنف ذكرها غموضا ينطوى على إبداع فنى، ونقول لهؤلاء الناس ان اذواقكم الفنية أحط من ان تصل الى رؤية هذا الابداع، وان مستوى شعوركم وتفكيركم أوطأ من أن يدرك هذا الفن البديع المتلفع بهذا الغموض..

لقد جاز الشعر والادب ادوارا غريبة، ووجد الشعر والادب فى ظروف عجيبة؛ وكان العامل فى هذه الغرابة وهذا العجب النقدة من الكتاب والادباء، فقد لعب بعضهم ادوارا طمس فيها الحقائق وابرز الى الناس الغث سمينا وارغمهم على اعتبار السمين غثا.

ولولا شعوذة هؤلاء النقدة ومهارتهم فى تصريف الكلام ومقدرتهم فى البيان لكان جمهور الناس يرون فى ترتيب طبقات الشعراء والادباء غير ما يرونه الآن. نعم لو ترك هؤلاء الكتاب الناس وشأنهم يقرأون الشعر بصورة طبيعية ويفهمونه كما هو

المقصود منه ، لما كنا الآن مرغمين على ان نؤمن بالاحكام الثابتة في المفاضلة والموازنة بين شاعر وشاعر او بين اديب واديب .

ولكن اعتدادهم بانفسهم ساقهم الى ان يقولوا مثلا ان الشاعر الفلاني ارادبقوله كذا ... كيت و كيت — ولم يقصد كيت وكيت

ولعل أقوى حجة يتذرع بها من يرون تحت الشعر الغامض ابداعا فنيا ، هي ان الانسان اذا جابه منظرا رائعا في ثوب جمال من مناظر الكون يرى في المرة الثانيةفيه ما لم يره في المرة الأولى ويلتذ بما يراه في المرة الثالثة اشد من التذاذه بما رآه في المرتين الأولى والثانية . اما انا فاعتقد ان هذه الظاهرة لايصح على الاطلاق اتخاذها دليلا على اعتبار الغامض من الشعر ذا قيمة فنية .

فكل بديع في هذا الكون من منظر الى صوت الى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور . والوضوح جوهر الجمال الحقيقي ، اما « الغموض » بمعناه الذي يعرفه الناس فلا يجتمع مع الابداع أو الجمال في صعيد واحد ، وقد يجهد الانسان نفسه ويكد ذهنه اذا سمع قطعة شعرية فيها شيء من الغموض ، وقد يجد في هذا الاجهاد والكد لذة التوصل الى الصورة الذهنية المقصودة . فليس من الضروري ان تعتبر هذه اللذة ناشئة من تلمس الابداع ، وانما هي ناشئة من التوصل الى نتيجة بعد اجهاد وكد .

لقد ذكر الاستاذ العقاد جملة عبارات يؤيد بها ان وراء الغموض في الشعر والأدب ابداعا فنيا ، وكان من جملة ماذكر ان الانسان قد يقرأ كتابا غير مرة فيجد فيه كل مرة من المعاني مالم يره في القراءات السابقة . وعندي ان تفسير هذه الحقيقةالراهنة هين ، وعلتها واضحة لاغامضة . هذا اذا لاحظنا ان معارف الانسان التي تنمي فيه شعوره وذوقه ومداركه تتبدل على الدوام وتتكيف حسب الظروف المختلفة التي يكون فيها . فالاثر الذي يتركه مطالعة كتاب في نفس الانسان في وقت ما ذوعلاقات متنوعة بشعوره وذوقه ومزاجه في ذلك الحين ، وان الانطباعات التي تتولد في نفسه من معاني ذلك الكتاب تتناسب مع ماذكرناه في ذلك الحين فقط . اقول في ذلك الحين فقط ، لأن الشعور والذوق والمزاج ظواهر نفسية تتبدل وتتطور بالنظر الى الظروف المحيطة بالانسان . فليس ثمة غرابة اذا وجد الانسان في مطالعاته المتوالية لكتاب ما معاني جديدة لم يكتشفها في مطالعاته السابقة . ولاينبغي ان تعتبر هذه الصفة في الكتاب غموضا ، لأن تبين جميع المعاني والمرامي المقصودة في الكتاب دفعة واحدة امر مستحيل ، ولايتمكن الذهن من استيعاب جملة معان دفعة واحدة . والذهن مثل العين او سائر الحواس . فكما أن عينك اذا وقعت على رقعة تحتوي على عدة اشكال لاتحيط بها جميعا دفعة واحدة ولكنها تتمكن من ذلك بتوجيه البصر الى كل شكل بصورة خاصة ، وكما ان الأذن اذا سمعت الحانا مختلفة لايمكنها ان تؤلف بين هذه الالحان الا اذا أنصتت لكل لحن على حدة ، كذلك الذهن لايتمكن من الوجهة البسيكولوجية - ان يدرك كل ما اودع في كتاب من معان دفعة واحدة ، وهذا مايجعل الانسان يكتشف في قراءته المتوالية لكتاب واحد معاني جديدة .

ولكن الخاصة من الأدباء يأبون الا ان يخترعوا لهذه الظاهرة الطبيعية النفسية اصطلاحا ادبيا وهو مارمى اليه الاديبان طه والعقاد فاسموه « بالغموض » . فسرد لنا الاول قصة « المقبرة البحرية » للشاعر الفرنسي بول فاليري وتبسط في وصف مادار حولها من مناقشات وآراء في غموضها وعدم اشتمالها على معان واضحة . فقال من جملة ماقال ان : « كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم في هذه المقدمة الممتعة ان لم تبين المعاني التي اودعها قصيدته فهي تبين شيئا آخر اظنه اقوم واجل خطرا من هذه المعاني ، وهو مذهب الشاعر في فن الشعر ومايبتغي له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذي يفسد الفن افسادا ويقربه من الابتذال » .

ولكن ! اذا لم تتمكن القصيدة من بيان المعاني التي يودعها الشاعر فيها فهي اذن ليست قصيدة ، ولك ان تسميها ماشئت .

ان لم تستطع ان تودع المعاني التي تريدها الالفاظ التي تقولها فانت والصامت او الهاذر سواء .

وماهو هذا - الشيء الآخر — الذي يظنه الدكتور اقوم واجل خطرا من هذه المعاني ؟ :

وهو مذهب الشاعر في فن الشعر ،

لاريب في ان مذهب الشاعر في فن الشعر أجل خطرا من المعاني باعتبار ان العناية بالمذهب هي التي تقوي المعاني وتصقلها فتظهرها ناضجة واضحة براقة ، ماضية في نفوذها الى النفس . ولا أدري كيف نوفق بين هذين النقيضين : الا يتمكن الشاعر من ابداع المعاني التي يريدها في قصيدته ، وهو بعد ذلك يستطيع ان يظهر مذهبه في فن الشعر .

ويظهر ان الدكتور بعد ان يصل به القلم الى عبارة « ويقربه

من الابتذال ، يدرك ان ماأورده ، غامض ، للتناقض الظاهر فيه فيستدرك الأمر بان يقول : ، فهو يرى مثلا ان جمال الشعر يأتي من انك تجدد اللذة الفنية في نفسك كلما جددت قراءته ، ومن انك تستكشف في القراءة الثانية من فنون الجمال مالم تستكشفه في القراءة الاولى ، بل تجد في كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدها في القراءات التي سبقتها ،

هذا صحيح اذا تمكن الشاعر من ابداع قصيدته الصور الذهنية التي تخلق للقارىء هذا الجمال . والصور الذهنية في الواقع سداها الالفاظ ولحمتها المعاني التي تبرز تراكيب هذه الالفاظ في عبارات وجمل

فجمال الشعر اذن يأتي من طريق مذهب الشاعر في فن الشعر اذا كان هذا المذهب خليقا بان يظهر المعاني المقصودة بحلل قشيبة جذابة ؛ ومذهب الشاعر في فن الشعر ليس اجل خطرا من المعاني الا اذا تمكن الشاعر من ان يودع قصيدته المعاني اولا . وبتعبير آخر لايمكننا ان نعترف للشاعر بمذهب — خاص كان او عام — ان لم يودع القصيدة التي ينشئها المعاني التي يقصدها .

فاذا انشأ الشاعر قصيدة وجاء الناس يتساءلون منه ماذا اراد ان يقول بهذه القصيدة ، فهذه القصيدة اما ان تكون خالية من المعنى وأما ان يكون صاحبها عند نظمها مرتبك الافكار والخواطر مزعزع الحس والشعور الى حد انه لم يستطع ان يودع قصيدته معنى معينا . فاذا كنا نسمي هذا شاعرا ويعتبر مايودع في منظوماته من افكار مشوشة غير معينة ولا مفهومة ، غموضا ، ثم تجرى تحت طيات هذا الغموض ابداعا فنيا يزينه الينا خيالنا المحض ، فيجب ان نعتبر عوام الناس طرا شعراء مبدعين بكل ماتمر بين شفاههم من عبارات مرتبكة يسوقونها عندما تتأثر نفوسهم ببعض الظواهر والمشاعر . ويجب اكثر من ذلك ان نعتبر الجمل المرتبكة المتقطعة المبهمة التي يتمتم بها الطفل عندما يجابه منظرا غريبا او حادثة جديدة غموضا ينطوي على ابداع فني .

وبهذا تكون قد اسرفنا في الاساءة الى الفن والى الابداع والى الشعر والبيان اساءة عظيمة

بغداد — عباس فضلي خماس

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد ، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

١٠٥٧

رسائل حزينة

هل كان حبها خطيئة .. ؟

أصحيح انني ألقيت بهذا اللون من الرسائل الحزينة ظلالا شاحبة كئيبة على حياتك الباسمة بين احضان الريف . وتحت سمائه الصاحية الجميلة . فأن يكن ذلك حقا ؟ وانك قد اصبحت تضيق ذرعا حتى بهذا القدر التافه من العزاء الذي اجده في الكتابة اليك ، ترويحا لقلب عن ونفس ثائرة مضطرمة ، فقد ينبغي لك ان تعلم ان الشجرة التي انتصبت في الفضاء ، تهزأ بالأعاصير والأنواء . ساخرة متحدية . حتى عريت من اوراقها وتحطم الكثير من اغصانها ، مايزال في جذعها الضخم العنيد . واعراقها الراسخة القوية ، مايعينها على الصبر الى نهاية المعركة ؛ حتى ينجلي ليل محنتها قليلا قليلا . ثم يطالعها في اعقابه فجر باسم حالم ، ينبت فيها اوراقا باوراق ، وينشىء لها اغصانا بأغصان . ويومئذ تفيء الطيور الى ظلها الوارف الظليل ؛ لتملأ هذه الاجواء الحزينة شدوا شجي النغم حلو الرنين . يعيد الى هذا القلب الذي هانت عليك آلامه فيضا دافقا من حلاوة المنى ولذة الامل ، واذن فأحتجن هذه الآلام من دونك بعد اليوم في صدري : فما يزال فيه قدرة على احتمال المزيد منها . وسأدير الحديث اليك في هذه الرسالة حول شخص لاتعرفه ، قد آخت بيننا سهمة من الالم المشترك ، وسأنفض اليك جملة حاله وجماع قصته على اقف منك على رأي تراه له ، لانني - وانت تعرف رأيي في المرأة - تحرجت من ابداء رأي قد يفسده ما احسه اليوم في قلبي بسببها من جراح وندوب . والحق انها قصة تعتبر تصويرا صحيحا لمشكلة من مشاكلنا الاجتماعية . أو قل إنها ثورة عنيفة على بعض تقاليدنا لاسرة المصرية وتحطيم لها . أو قل انها استجابة حارة لهتاف الروح ودعوة القلب ، وهي لهذا الذي اسلفت لك جديرة بشيء من العناية غير قليل .

*

انحدر الى هذه الدنيا وحيدا لأبوين رزقاه على وجد للبنين بعد ما كادت الايام تشرف بهما على ربوة العمر . فتهيأت له من هذه الناحية طفولة ناعمة مدللة اسلمته الى دار من دور التعليم جعل يتخطى سني دراستها غير وان ولا متخلف ، حتى وصل الى السنة الثانية من دراسته في كلية الحقوق بالجامعة المصرية . وعندئذ بدأ الجدول العذب الذي كان يتسلسل في طريقه سهلا رفيقا . يتحول الى طريق ملتوية مليئة بالجنادل والاحجار . فقد توشجت بينه وبين

زميلين من رفاقه بالجامعة اواصر الصداقة والمودة . واتفقا معه فى نظرهما الى الحياة من ناحيتها العابثة الماجنة . فكانت لهم فى خلال الليل متع سعيدة بسامة . ينهلون من خمرين : ريق ورحيق ، ويتساقون من كأسين : آونة من فم الابريق ، واخرى من خلال شفاه ورديه فى حمرة العقيق ، وجعل فى هذه الغمرة المجنونة لايدع واجبا مدرسيا الا اهمله حتى فوجىء بالفصل من الجامعة بعد رسوبه فى اختبار النقل عامين متواليين . وكانت الصدمة عنيفة قوية . والحسرة على ضياع مستقبله الجامعى لذاعة ابية . واخذت آماله التى كانت تضيق بها الدنيا تتضاءل وتنكمش حتى وسعتها مدرسة البوليس على كره منه ومضض . . وتخرج فى هذه المدرسة ضابطا يختال بنجمته اللامعة ويلقى من التحية الوانا كلما مر فى طريقه بواحد من اولئك الجند المساكين . . . . وعاوده الحنين الى المرأة غلابا قويا . وأخذت جوارحه تهتف بنداء الجنس فيستجيب لها فى جنون وشغف الى ان وضعت الاقدار فى طريقه تلك المرأة التى انا بسبيل من الحديث عنها الآن .

كان الفصل شتاء ، والسماء عابسة يدوى فى جوانبها الرعد ، مظلمة يلتمع فى حواشيها البرق ، والليلة باردة الانفاس ، مقرورة النسمات ، وكان الفتى على موعد مع رهط من اصدقائه فى حفلة غنائية ذهب يشهدها ، فاتفق له ان يجتاز فى طريقه ميدانا صغيرا من ميادين القاهرة ، فلمح على هامش الطريق فتاة تعبث الرياح الغاضبة بثيابها الفضفاضة عبثا ماكرا قبيحا ، تتململ فى وقفتها الضارعة الذليلة ، وترتعش اوصالها تحت اضواء هزيلة يرسلها على الطريق مصباح باهت شاحب . فعرف انها طريدة من طرائد الليل قد اتاحتها له الفرص السعيدة فى هذه الليلة العصيبة . فمشى اليها جريئا يختال بنجمته اللامعة وسمته الرائع الجميل . وسدد اليها تلك النظرة التى تعرف المرأة وحدها سر ماتنطوى عليه . فاغضت حياء وقد اصطبغ وجهها بلون الورد فى زمن الربيع . . واستقل معها عربة الى مسكنه الخالى الا من خادم ريفى يتوفر على خدمته والعناية بشأنه . وهناك فى تلك الخلوة التى تهيج فى المرأة اشجانها المستورة . وتثير عواطفها المكمودة . ترقرق الدمع فى مآقيها وجعلت تفضى اليه بودائع قلبها الدامى الجريح فى لهجة محزونة تنتزع من أصلب القلوب الوانا من العطف والاشفاق والرثاء . . . عرف انها واحدة من تلك الضحايا البريئة التى غلبت على امرها فى خلوة مجنونة عابثة . مأخوذة بمعسول الامانى وبواسم الاحلام . زين لها لص من لصوص الاعراض سحر الخطيئة . فأكلت من الشجرة الملعونة ثم تنكر لها وعلم اهلها بعارها فنبذوها ، وعضها الجوع وأذلتها الحاجة . فخرجت الى الطرقات دامعة العين مصدوعة القلب غير مستعصية على طالب متعة لقاء ثوب تلبسه . وفضلة من طعام تأكلها . . ولقد هتفت بكل ما فيه من رجولة ورحمة . ان يستبقيها فى بيته خادما ترعاه وتعبده وان يمسك عليها تلك البقية الباقية من شباب ذبلت زهرته . وحياء كادت تأتى عليه عوادى الليل واحداث النهار . . . . . . فتجمعت الدموع فى عينى الشاب عطفا عليها ورثاء لها . وبدأت تخامر قلبه من نحوها عاطفة مجهولة غامضة . عاطفة ان لم تكن حبا فهى قريبة من الحب . وأجمع أمره على ان يعصمها من السير فى هذه الطريق الشائكة الملتوية . ويشعرها فى جواره هناء الحياة ولين العيش . وحسبها تكفيرا عن زلتها مالاقته من أهوال وخطوب .

ولبثت فى بيته عاما كاملا لاتكشف الايام منها فى خلاله الا عن كل ما يملك القلب ويأسره : خلق رضى كالماء رقة وعذوبة ووفاء يسمو الى حد التضحية . وعرفان للجميل أحبته من أجله حبا هو اشبه بالعبادة والتقديس منه بأى عاطفة اخرى . واحس الشاب احساسا عميقا بهذا كله فبادلها حبا بحب ، ووفاء بوفاء . واقدم على الزواج منها زواجا رسميا ترامت اخباره فى الريف الى ابويه وهو وحيدهما . فجن جنونهما وثارا به ثورة عنيفة لم يجد فى تهدئتها توسل ولا رجاء . وآذناه بالقطيعة والحرمان من تراثهما العريض إن هو لم يفصم تلك الروابط التى تربطه بهذه المرأة الآثمة كما نقل اليهما خادمه الريفى الذى هجره من عهد قريب .

وبعد . . . فهل يهدم الشاب هذا العش الجميل الذى يتذوق فيه السعادة خالصة والنعيم محضا ليجدد على انقاضه مودة ابوية . وليرضى تقاليد الاسرة العريقة التى ينتمى اليها . ويرسل تلك المرأة التى تعبده الآن وتسعده . لتحيا من جديد حياة كلها عار ورجس ودنس . أم تراه يمسك عليه زوجه ويدع للايام ان تبلى غضب ابويه كما يبلى فى هذه الحياة كل شىء . . . . هذا هو الموضوع . ويسعدنى أن أشرك معك ايها الصديق فى ابداء الرأى كرام الكاتبين من قراء « الرسالة » العظيمة .

عبد الوهاب حسن

قلم النشر — وزارة المالية

مذهب النشوء واخوان الصفا

نشوء الكائنات ــ الأحياء الدنيا نشأت أولا ــ التخصص في الأعضاء دليل الرقي ــ الوظيفة توجد العضو ــ تنازع البقاء ووسائله ــ الغريزة الجنسية وحفظ النوع ــ الحوافز وحفظ الذات ــ الجمال مسخر لحفظ النوع ــ البقاء للأصلح ــ تنازع البقاء وسيلة للرقي ــ التعاون وسيلة للرقي

لم يكن داروين أول من اهتدى إلى مذهب النشوء وتوابعه، ولم ينفرد وحده بالتنبه اليه. فاليونان وغيرهم من الأمم القديمة قد نحوا اليه ونحوه بقدر ما كانت تساعدهم معارفهم ووسائلهم العلمية. وتنبه اليه العرب، فطبقه ابن خلدون فى مقدمته على نشوء العمران وانحلاله. وشعر المعرى بما يدعونه تنازع البقاء فحفل بالاشارة اليه شعره. واخيرا اخوان الصفا جاءونا بما يجعل هذا الفصل خليقا بهذا العنوان

جاءنا اخوان الصفا بان هذه الكائنات المختلفة من معادن ونبات وحيوان هي سلسلة متماسكة الحلقات شديدة الاندغام بعضها فى بعض، وانه ليس ثمة حدود فاصلة أو مراحل متقطعة بين الحلقة وتاليتها، المعادن متصل اولها بالتراب وآخرها بالنبات، والنبات ايضا متصل آخره بالحيوان، والحيوان متصل آخره بالانسان، والانسان متصل آخره بالملائكة، (١) وهم فى هذا على اشد مايكون من الاقتناع. ورسائلهم حافلة بهذه الفكرة يدلون فيها ويعيدون كان الاشارة المفردة عندهم لاتنيلهم مايصبون اليه من اقناع

كذلك يقول اخوان الصفا ــ وقولهم حق ــ: « ان الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان فى بدء الخليقة، وذلك انها تكون فى زمان قصير. والتى هى التامة الخلقة تكون فى زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها » (٢) هنا لايختلف اخوان الصفا عن نشوئيي هذا العصر القائلين بان الحياة قد بدأت بأحط أنواع الأحياء وابسطها تركيبا. والقائلين ايضا بان الطبيعة تصرف على الحيوانات الراقية جهداً فوق ماتصرفه على الحيوانات الدنيا، ولذا فأنسال هذه كثيرة وأنسال تلك قليلة.

ويشير اخوان الصفا الى ان التخصص فى الأعضاء دليل على الرقى فى سلم النشوء، ويطبقون ذلك على النبات والحيوان فيقولون: « واما النخل فهو آخر مرتبته النباتية مما يلي الحيوانية، لأن بعض احواله مباين لأحوال النبات. ذلك ان القوة الفاعلة فيه منفصلة عن القوة المنفعلة، والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة منه مباينة لاشخاص الاناث. ولأشخاص فحوله لقاح فى اناثها كما يكون ذلك للحيوان »

ثم يقولون: « اعلم أن أدون الحيوان وانقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة وهو الحلزون... وهكذا اكثر الديدان التى تكون فى الطين فى قعر البحر وعمق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولاشم »

واذ يقر اخوان الصفا هذه الحقائق يتقدمون خطوة اخرى جريئة ويساهمون داروين فى ان الانتخاب الطبيعى يفنى كل عضو لافائدة للجسم منه. ويوجد الأعضاء التى تفيد الجسم فى تنازع البقاء. « لأن الحكمة الألهية لم تعط الحيوان عضواً لايحتاج اليه فى جر المنفعة او دفع المضرة: لانه لو أعطاها مالا تحتاج اليه لكان وبالا عليها فى حفظها وبقائها » (١)

ويزيدون هذه الفكرة جلاء فيأتونها من ناحية ان الوظيفة توجد العضو فيقولون: « واما السباع الآكلة اللحمان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض أعضائها الظاهرة والباطنة وامزجتها وشهواتها مخالفة لما عليها الحيوانات الآكلة العشب. وذلك ان البارى لما خلقها وجعل غذاءها من اللحمان جعل لها انيابا صلابا ومخالب مقوسة، قوية وازنادا أيدة متينة، ووثبات خفيفة تستعين بها على قبض الحيوانات »

بعد هذا يتقدم اخوان الصفا بجرأة ويقررون: « ان شهوة البقاء وكراهية الفناء هما أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة فى جبلتها، وان تلك الشهوات هى اصول وقوانين لجميع اخلاقها وسجاياها » وهكذا يبين اخوان الصفا فى هذه الجملة الفذة ان جميع الغرائز الحيوانية هى اداة التنازع على البقاء الذى يظهر فى شطريه: التنازع على حفظ الذات، والتنازع على حفظ النوع: ليس هذا فقط بل هم يرجعون بالاخلاق والسجايا الانسانية الى هذين الحافزين الأكبرين. وهى فى الحقيقة نظرة فى الغاية من النفوذ والأصابة، فالأخلاق والمزايا الأنسانية ماكانت لتنشأ وتشتد لو لم يكن التنازع على البقاء وحفظ النوع اقوى الحوافز الانسانية. واليك جميع الفضائل والأخلاق الانسانية افحصها فحصا مدققا وجردها من النظرة التيولوجية فتجد انها جميعها تمت الى حفظ النوع وحفظ الذات بسبب شديد

واذا ماانتهى اخوان الصفا من تقرير هذا القانون على ذلك

---

(١) رسائل اخوان الصفا (٢) الرسائل

(١) الرسائل

النحو من الشمول والاجمال عادوا الى التفصيل فقالوا : « اما علة شهوة الجماع المركوزة فى الجبلات فهى من أجل التناسل ، والتناسل من اجل بقاء الصورة فى الاشخاص المتواترة .

وهم — كعلماء النشوء — لا يبالون ان ينزلوا باحساس الجمال من منزلته الرفيع ويحسبوه اداة تسخرها القدرة لحفظ النوع . فيقولون على لسان الحيوان معارضا ومناظراً الانسان : « واما الذى ذكرت ايها الانسى من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيه شىء من الدلالة على مازعمت بانكم ارباب ونحن عبيد ، اذ كان حسن الصورة شيئا مرغوبا فيه عند ابناء الجنس الواحد من الذكور والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والتناسل لبقاء النسل . وذكر أننا لا نرغب فى محاسن أناثكم ولا أناثنا فى محاسن ذكرانكم ، كما لا يرغب السودان فى محاسن البيضان » . ولا يفوتنك فى آخر هذه القطعة الطريفة اشارة الاخوان الى أن الجمال أمر نسبى يقدره الناس تقديراً متباينا . ونظرية نسبية الجمال نظرية مشهورة يقول بها كثيرون من الباحثين فى فلسفة الجمال .

وكما يحسب الاخوان ان الغريزة الجنسية مسخرة لحفظ النوع كذلك هم يقررون أن الحواس مسخرة لحفظ الذات فيقولون : « قصد الله وغرضه فى الحيوانات ليس عقوبة لها وعذابا بل حثاً لنفوسها على حفظ أجسادها وصيانة لها ، ولو لم يكن ذلك كذلك لتهاونت النفوس بالأجساد وخذلتها واسلمتها الى الهلاك . . . فلهذه العلة جعلت الآلام والأوجاع للحيوان تمكنه من البقاء اما بالحرب أو بالهرب » .

وبعد ان يفرغ اخوان الصفاء من هذا القانون — قانون تنازع البقاء — وذكر وسائله وأدواته يعودون فيقولون : ان هذا التنازع لا يكون الفوز فيه الا للأصلح، أما الضعيف فيجب ان يفنى امام القوى : « لأنه لما كان بعض الحيوانات أتم خلقة وأكمل صورة جعلت النفس الناقصة خادمة ومسخرة للتامة ، وجعلت أجسادها غذاء ومادة لأجساد الناطقة منها وسبباً لبقائها لتبلغ أتم غاياتها » . أما الغرض من ذلك كله « فهو النفع الكلى والصلاح العام ، وان كان يحصل فى ذلك اضرار جزئية . مثال ذلك ان الشمس تشرق وتغيب للمنفعة العامة ، ولكن قد يكون فى ذلك ضرر يقع على اناس مخصوصين » .

الا ان اخوان الصفا لا يقفون عند هذا الحد ولا يكتفون بالقول بان قانون التنازع وحده اداة الرقى والنشوء أيضاً — بل هم كعلماء النشوء يحسبون ان التعاون لا يقل شأنا فى مضمار التقدم والنشوء عن التنازع . فهم يقولون : ان ما جعل فى طباع بعض الحيوانات من الالفة والانس والمودة هو ليدعوها الى الاجتماع والمعاونة لما فيه من صلاحها وكثرة منافعها .

هذه لمحة موجزة فى آراء اخوان الصفا النشوئية . وهى على كل حال لا تمثل الا ناحية ضيقة من هذه الآراء التى بثها اخوان الصفا فى رسائلهم المعروفة . والذى لا يزال حرياً بالدرس من آرائهم هو شىء كثير . وانى لعلى رجاء بان تغرى هذه الصفحات قارئها بالنظر فى رسائل الاخوان . فانه — وأنا الكفيل — سيأخذ أجوره نقداً صحيحاً لا زيف فيه . لست أنكر ان قسما كبيراً من هذه الرسائل صحراوات لا لحة لا ظل فيها ولا ماء . ولكننى ، من جهة أخرى ، أستطيع ان أقول : ان الواحات تنتشر فى هذه الصحارى انتشاراً كبيراً ، فلا يعدم القارىء فى سيره وادياً هنا أو واحة هناك يستظل أفياءها ويتبرد بنسيمها وينهل من مائها فيستجمع قواه ويعاود السير كاقوى ما يكون . وبذا يفيد فائدتين : فائدة انه يأخذ نفسه برياضة تعوده السير الطويل المتعب ، وأخرى انه يشهد آفاقا لا عهد له بها ولم تطأها قدماه من قبل فيما نعتقد .

ولعلنا ، اذا أفسحت لنا « الرسالة » الغراء صدرها ، عائدون الى اخوان الصفا ومفصلون لك آراءهم فى كثير من المسائل كعلم النفس والتربية والاخلاق : فان لأخوان الصفا فى هذه النواحى آراء هى فى الغاية من الطرافة والاصابة .

شرق الأردن — أديب عباسى

قلوب تتقلب !

نشأت فى كنانة حول الطائف ومكة ، وقد باكرها النعيم فشبت صبيحة جميلة ؛ ورضعت أفاويق البلاغة من قومها ، فنشأت فصيحة بليغة ، خطبها سيد قرشى ؛ من أشراف مكة وعصبة النبى ، وبنى بها فطاب حالهما ؛ وصفا عيشهما . وقرا فى المدينة زمنا أسعدهما الله فيه بغلامين كانا بهجة النظر وأمنية الفؤاد .

اختار « الامام على » زوجها ليكون عاملا له على « اليمن » يجبى خراجها ، ويقوم بشعائر الدين فيها ؛ فابتهجا بالمنصب الرفيع والحظ المقبل ؛ وانتقلت الاسرة إلى مقرها الجديد . إلى اليمن ، واليمن جنة العرب وروضة الجزيرة . هواؤها رخى وتربها ندى ؛ وفاكهتها كثيرة ، وجــدا فيها مجالا للمتعة ، ومراحا لطفليهما العزيزين يطلقانهما فى الصباح ليتنعما بشمس الشتاء الضاحية ، ويتمتعا بمناظر الوديان ، ومظاهر الجنــان ، وقد حل فيهما من بهجة الازهار ، ونغمة الاطيار ، وانعطاف الاغصان ، وانسجام الظل ، مشابه : فاستحار جمالهما ، وتمت آدابهما ، واستوليا على كل قلب ؛ واختطفا النظر من كل عين .

غاب أبوهما عن مدينته لبعض شئونه ، وخرجا كعادتهما يتنزهان وإذا رجل يقبل عليهما مسترق الخطى ، ويتطلف بهما ويغريهما بالسعى معه ، وإذا به يقبض عليهما ويكم أفواههما ، وإذا به قد انتضى سكينا مرهفة وقضى عليهما ، ثم أطلقها ضحكة عالية قائلا:

« الآن تمتع بالحياة ياعبيد الله ! »

انتظرت « جويرية الكنانية » ولديها يؤوبان اليها مع الغداة ، ولكنهما تأخرا على غير عادتهما ، فتربصت طويلا ؛ منصتة إلى بابها لعل طارقا يطرقه ، وكلما لعب به الريح هرولت اليه وفتحته باسطة ذراعيها ، ولكنها فى كل مرة تعانق الهواء ؛ ولما فرغ فؤادها دفعت خادمتها لتقصهما ، وما كادت الخادم تسير خطوات حتى اندفعت وراءها سافرة حائرة ، وطافت بمعاهد البلد وملاعبه ، وكل فتى تتوسمه فتاها ، وكل ندى تظنه قد حواهما ؛ ولبس الأصيل ثوبه المعصفر ، وزحف الليل بسواده وما رجعت بطائل غير هم ملأ قلبها وأسى قلقل كيانها ، ومضى يوم ويومان وثلاثة وهى تطوف وتقول :

ألاَ مَنْ بيَّنَ الأخويـــن أمُّهُمَا   هى الثكلى

تسائل من رأى ابنيها   وتستبق فما تبق

فلمــا استيأست رجعت   بعــبرة واله حَرَّى

تتــابع بين ولولةٍ   وبين مــدامع تترى

وفى كل يوم تزيد شدتها وتذكو سكرتها ويضيق افقها . وفى سنته اقتحمت عليها السبيل فتاة ؛ واخبرتها بما سمعت عن فعل « بسر ابن أرطاة » بولديها . فان معاوية أخرجه لنكل بشيعة على ، فمضى فى سبيله حتى انتهى الى اليمن . ولما لم يجد عاملها يتلقى عقارب كيده اقتص من ولديه وذهب بشفرته .

وكان هذا كافيا لفقدان وعيها ، وطيران عقلها ، ولكنها أبت ان تصدق ؛ وألا فكيف يموت عزيزان فى لحظة ، ثم هامت على وجهها . تناشد المواسم والمجامع بقولها :

يامَنْ أحس بُنَيَّ اللذين هما   كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ

يامَنْ أحس بُنَيَّ اللذين هما   سمعى وطرفى فطرفى اليوم مختطَفُ

يامَنْ أحس بُنَيَّ اللذين هما   مُخُّ العظام فمخى اليوم مزدهف

نُبِّئْتُ بسراً وما صدقت ما زعموا   من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا

انحى على ودجى طفلىَّ مرهفةً   مشحوذةً وعظيم الافك يقترف

مَنْ دلَّ والهةً حرَّى مُفجَّعَةً   على حبيبين غابا اذ مضى السلف

أما عبيد الله بن العباس فقد انتزع منه حشاه ، عزف عن الدنيا وأحس زخرفها شوكا ففارقه الهناءة كما تنبأ بسر بذلك .

آه لو ملك القاتل ! أذن لنبش عن قلبه وان لم يكن من قبل فظاً . آه من معاوية ورهطه ! قوم عزب الايمان من قلوبهم واشتروا دنياهم بدينهم . آه ! وآه على نجمين قد أفلا فى ساعة من نهار . هذا ما يثور بفؤاده .

تبدل برجل آخر سقيم الجسم دقيق العظم مشتعل الرأس . وشاطره همه ابن عمه على ولعن القاتل ودعا عليه بالجنون والمروق وأجاب الله دعوة وليه . فاذا بسر مخبول يهذى ممسكا بسيف من خشب وزق من جلد منفوخ مايفتأ يضربه بسيفه حتى تهن قواه ، وكان خبله يقوى تارة ويضعف أخرى

مضت سنوات ودخل بعدها عبيدالله على معاوية ابان ملكه ، وكان عنده بسر ، فقال له عبيدالله : « أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ » قال بسر : « نعم أنا قاتلهما » فقال عبيد الله : « أما والله لوددت ان الارض أنبتتنى عندك » قال بسر : « فقد انبتتك الآن عندى » قال عبيدالله : « ألا سيف ؟ » فقال بسر : « هاك سيفى » . فلما أهوى عبيدالله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : « أخزاك الله شيخا ، قد كبرت وذهب عقلك ، » ذاك رجل من بنى هاشم وقد وترته وقتلت ابنيه ، تدفع اليه سيفك ؟ انك لغافل عن قلوب بنى هاشم . والله لو تمكن منه لبدأنى قبلك . » فقال عبيدالله : « أجل والله وكنت أثنى به . . » ؟

احمد احمد التاجى

الصهيونيــــة

نشأتها وتطورها

٢ ـ بعد عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اصدرت الحكومة البريطانية عهدها بانشاء الوطن القومى اليهودى (عهد بلفور) فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ كما قدمنا ، بينما كانت القوات البريطانية بقيادة لورد اللنبى فى طريقها الى بيت المقدس . وفى التاسع من ديسمبر استولى الانكليز على بيت المقدس ؛ وبدأت سيادة انكلترا على فلسطين من ذلك التاريخ ، وبدأ تنفيذ مشروع الوطن القومى اليهودى بصورة عملية . وتلا عهد بلفور صدور تصريحات ووقائع رسمية من مختلف دول الحلفاء بتأييد امانى الصهيونية ومشروع الوطن القومى اليهودى فى فلسطين (١)

وفى مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ وزع « الانتداب » على بلاد الشرق الادنى التى سلخت عن تركيا . فكانت فلسطين وشرق الاردن والعراق من نصيب بريطانيا العظمى . وفى سبتمبر سنة ١٩٢٢ صادق مجلس عصبة الامم على صك الانتداب على فلسطين متضمنا فى ديباجته المصادقة على عهد بلفور بانشاء الوطن القومى اليهودى ؛ ونص فيه على انشاء هيئة يهودية ذات صفة رسمية يحق لها أن تبدى الرأى لحكومة فلسطين وتعاون معها فى جميع الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يتعلق بانشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح اليهود فى فلسطين ، وتتخذ بالاتفاق مع الحكومة البريطانية جميع الاجراءات اللازمة لتحقيق التعاون بين جميع اليهود الذين يريدون الاشتراك فى انشاء الوطن القومى اليهودى (المادة الرابعة) . ونص على تسهيل الهجرة اليهودية واستعمار اليهود للأراضى (المادة الخامسة) كما نص على جعل اللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين الى جانب العربية والانكليزية (المادة الثانية والعشرون) واستثنيت منطقة شرق الاردن وجعلت منطقة خاصة لا يطبق عليها شىء من النصوص المتعلقة بالوطن القومى اليهودى .

وفى سنة ١٩٢٣ تنازلت تركيا فى معاهدة لوزان عن كل حق على فلسطين وغيرها من الاراضى التى وضعت تحت الانتداب ، واعترفت بالانتداب البريطانى على فلسطين ، وتمت بذلك سلسلة الوثائق الدولية التى تؤيد السيادة البريطانية على فلسطين ، وتؤيد انشاء الوطن القومى اليهودى فيها .

*
* *

ولنر الآن كيف عملت الصهيونية فى فلسطين بعد ان مكنت من غزوها ؛ وكيف نفذ مشروع الوطن القومى اليهودى ؛ والى اين وصل والام ينتهى اليوم ؟

كان برنامج مؤتمر بازل الذى اتينا على ذكره دستور الصهيونية عملت على تنفيذه فى فلسطين عن طريقين : الاول الاستعمار الزراعى والاقتصادى ، والثانى احياء تراث اليهودية الروحى والفكرى . والأول سلاح اليهودية المادى لغزو فلسطين والاستقرار بها . وقد بدأت باعداده واستعماله منذ بعيد . فمنذ اواخر القرن الماضى انشئت فى فلسطين بعض الحلات والمستعمرات الزراعية اليهودية بسعى بعض الماليين اليهود ... ومنذ سنة ١٩٠١ انشىء « الاعتماد القومى اليهودى » فى لندن ليجمع الاموال من اليهود فى جميع انحاء العالم . ومنذ عهد بلفور يسير الاستعمار اليهودى لفلسطين بخطوات سريعة . وتعتمد الصهيونية فى ذلك على هيئتين ماليتين قوميتين الاولى « الاعتماد القومى اليهودى » المذكورة ، ومهمتها شراء الأراضى الزراعية فى فلسطين . والثانية « الكرن هيسود » ومهمتها أن تقدم الأموال اللازمة للمهاجرين لتسهيل الاستعمار والاستقرار والتربية وما يتعلق بها . وتطبيقا لعهد بلفور وصك الانتداب فتح الانكليز ابواب فلسطين على مصاريعها للهجرة اليهودية ، فوفد عليها اليهود آلافا مؤلفة من جميع انحاء العالم ، واشترى اليهود مساحات شاسعة من الأراضى فى جميع انحاء فلسطين ، واقيمت عليها المستعمرات اليهودية الزراعية والصناعية . وقامت « اللجنة التنفيذية الصهيونية » فى بيت المقدس لتنظم الاستعمار اليهودى بمعاونة حكومة فلسطين تطبيقا للمادة الرابعة من صك الانتداب ، واستأثرت لدى الحكومة بكل نفوذ ، واستولى اليهود على معظم المناصب الهامة ؛ وعلى الجملة استطاع اليهود فى اعوام قليلة ان يستأثروا بأعظم قسط من مرافق فلسطين الجوهرية اقتصادية وغيرها

---

(١) صدرت هذه التصريحات الرسمية فى صور خطابات وجهت الى المسيو سوكولوف مندوب الهيئات الصهيونية من الحكومة الفرنسية فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ ومن الحكومة الايطالية فى ٩ مايو ، ومن الحكومة السويسرية فى ١١٩ كتوبر . واصدرت اليابان بلاغا رسميا بنفس هذا النص على يد سفيرها فى لندن . واعلنت امريكا تأييدها لعهد بلفور فى يونيه سنة ١٩٢٢ ورومانيا فى يناير سنة ١٩٢٥ وبولونيا فى يوليه سنة ١٩٢٥ . ولم نورد نصوص هذه الوثائق لاتفاقها جميعا تقريبا فى الصيغة والمعنى

هذا ، وقد بذلت الصهيونية جهودا عظيمة لاحياء تراث اليهودية الفكرى والروحى . فأنشئت فى ظاهر بيت المقدس منذ سنة ١٩٢٥ جامعة عبرية كبيرة تعمل على احياء هذا التراث ؛ وانشئت مكتبة يهودية عظيمة ، كما انشئت طائفة كبيرة من المدارس اليهودية فى جميع انحاء فلسطين ، جعل التعليم بها باللغة العبرية ؛ واتخذت العبرية الى جانب العربية والانكليزية لغة رسمية للتخاطب والمعاملات ، وانشئت عدة صحف يهودية عبرية ، وبذلت على العموم مجهودات عظيمة لأحياء الثقافة والتقاليد اليهودية

وهكذا سارت الصهيونية فى انشاء الوطن القومى اليهودى بفلسطين بخطوات سريعة تسدد كل خطوة منها الملايين الطائلة ، والسياسة الانكليزية من ورائها تؤيد جهودها وتحمى مرافقها ومشروعاتها .

وقد بلغ الاحتشاد اليهودى فى فلسطين مبلغا عظيما ؛ فقبل عهد بلفور لم يكن عدد اليهود بفلسطين يزيد على بضعة آلاف معظمهم من اليهود المحليين ، ولكن عددهم حسب إحصاء سنة ١٩٢٢ بلغ ٨٧,٧٩٤ من مجموع قدره ٧٥٧ الفا ؛ وبلغ حسب إحصاء سنة ١٩٢٩ — ١٤٩,٥٥٤ من مجموع قدره ٧٩٤,٩٠٦ آلاف — ويبلغ اليوم حوالى مائتى الف من مجموع قدره مليون نفس . واعظم احتشاد يهودى فى (مدينة) تل أبيب وهى مدينة يهودية محضة أنشئت على الطراز الاوربى ، ويبلغ سكانها اليوم زهاء ستين الفا . والهجرة اليهودية مازالت تتدفق على فلسطين بنسبة مزعجة ولا سيما عقب حوادث ألمانيا الأخيرة ، حيث اضطرمت خصومة السامية من جديد ولقى اليهود نوبة اضطهاد جديدة شاملة .

وقد يلوح مما تقدم أن الصهيونية قد أحرزت نجاحا لا شك فيه ، وأن الوطن القومى اليهودى يقوم اليوم فى فلسطين على أسس ثابتة ، وأن حلم هرتل فى قيام دولة يهودية موحدة يسير نحو التحقيق . ذلك أن الصهيونية قد استطاعت من الوجهة الدولية أن تحصل على العهود والمواثيق اللازمة للاعتراف بالوطن القومى اليهودى كوحدة سياسية ذات وجود ، وعلى الضمانات الكفيلة بتأييده وحمايته ، واستطاعت من الوجهة المادية أن تقوم فى فلسطين بطائفة كبيرة من الجهود المادية والانشائية لاقامة هذا الوطن القومى طبق ما فصلنا . ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن الحركة الصهيونية تقوم من الوجهة التاريخية والدولية على أسس وبواعث فاسدة مضطربة ، وجهودها فى سبيل انشاء الوطن القومى اليهودى تسيرها فى الواقع عوامل مصطنعة . ثم هى بعد هذه الجهود كلها لا تستطيع أن تطمئن لمصيرها فى فلسطين ، ولا تستطيع أن تغفل ارادة العرب بعد أن تجلت هذه الارادة أكثر من مرة قوية متقدمة بتحطيم هذا الصرح اليهودى المصطنع . ذلك أن الصهيونية الحديثة لم تكن مستقلة النشأة ، وانما كانت بالاخص نتيجة لخصومة السامية أو حركات الاضطهاد ضد اليهود فى أوربا ، وكانت وما زالت تتبع هذه الخصومة قوة وضعفا ، فاذا اضطرمت خصومة السامية ، اضطرمت الصهيونية بفورة مؤقتة من الحماسة ، واذا خبت فتر روح الصهيونية المعنوى . وفكرة الوطن القومى اليهودى تقوم من الوجهة التاريخية على أن أرض فلسطين كانت قبل ألفى عام وطن الشعب اليهودى ومهاد مجده ، وانها مازالت برغم كر الاحقاب مثوى تراثه الروحى وذكرياته المقدسة . وهى فكرة ظاهرة الخطل والاغراق ؛ ففلسطين عربية إسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ولم تعرف خلال هذه الآماد الطويلة من أثر اليهودية سوى ذكرى التاريخ ؛ ولو كانت ذكرى التاريخ تصح سندا لاستعادة الأوطان الغابرة لما كان لشعب أن يبقى اليوم فى الأرض التى يحتلها . واليهودية لا وطن لها منذ ألفى عام ؛ وقد استقرت منذ الحقب اشتاتا فى سائر أنحاء الأرض ، وفقدت لغتها وكثيرا من خواصها ومميزاتها القومية ؛ ولم تبق اليهودية جنسا موحدا ، وانما هى دين فقط . وقد كان مزجها بين فكرة الدين والجنس من أهم عوامل اضطهادها ، لانها برغم نزولها فى مختلف الأوطان وتأثرها بمؤثرات الأقليم والوسط ، تأبى الا أن تعيش دائما فى معزل ، وتنكر دائما جنسيتها المكتسبة بتعاقب القرون ، وتتخذ دائما من الدين جنسية مستقلة . وقد كان هذا الفهم الخاطىء لنظرية الجنسية موضع الانكار والنقد من بعض مفكرى اليهودية الممتازين مثل مندلزون ولسنج ، فقدروا أن تتخذ اليهودية أوطانها القومية حيثما حلت مع احتفاظها بتراثها الروحى .

هذا ، ومن جهة أخرى فان الصهيونية لم تحسب حساب العرب ؛ وقد رأت بالأدلة المادية أن التأييد المسلح الذى أخذته بريطانيا على نفسها لا يكفى لسلامة الوطن القومى اليهودى ، وان أرادة العرب أصحاب البلاد يجب أن يحسب لها أكبر حساب . وقد ظهرت هذه الارادة قوية مضطرمة فى حوادث اغسطس سنة ١٩٢٩ ؛ ثم ظهرت فى حوادث فلسطين الأخيرة التى جاءت أقطع حجة على أن فلسطين العربية مازالت تجيش بقوى معنوية لا تقدر . وهذه الانفجارات القومية القوية التى تضطرم بها فلسطين من وقت لآخر هى وثبات شعب يريد الذود عن حياته وكيانه . فقد رأينا كيف نزعت أراضى

العرب من أيديهم ، وكيف سلبوا كل مرافقهم ومصالحهم الجوهرية، وكيف فتحت بلادهم لتلقى سيل الهجرة اليهودية تنفيذا لعهد بلفور وصك الانتداب . وقد اقرت لجنة التحقيق البريطانية التي انتدبت على اثر حوادث سنة ١٩٢٩ عدالة كثير من المظالم التي نزلت بالعرب ، ولا سيما مسألة الأراضي ومسألة الهجرة اليهودية . ولكن السياسة البريطانية لم تغير شيئا من مسلكها ؛ وما زالت تؤيد غزو الصهيونية لفلسطين بكل قواها . وقد وصل اقتناء اليهود لاراضي العرب في العهد الأخير ووصلت الهجرة اليهودية الى حدود خطرة، وشعر العرب بالضغط عليهم وعلى مرافقهم يشتد الى الغاية ؛ فكان الانفجار الأخير ؛ وكان ان اثبتت فلسطين مرة أخرى أنها ستقاوم هذا الغزو البربري المنظم بكل ما وسعت من قوة : وشعرت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي انما هو لعبة خطرة لاتزال تنقصها كل عناصر السلامة والطمأنينة : وكان لحوادث فلسطين الأخيرة وقع عميق في العالم العربي والاسلامي كله : فعرفت اليهودية مرة أخرى ان فلسطين لا تقف وحيدة في ميدان النضال ؛ وان من ورائها الأمم العربية والاسلامية كلها تشد أزرها بجميع قواها المعنوية ؛ وعرفت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي لا يقوم في قلب فلسطين فقط ، وانما يقوم في قلب العالم العربي والاسلامي كله على بركان من الخصومة المشتركة ، وان عليها اذا أرادت البقاء في فلسطين أن تأهب لمنازلة العالم العربي والاسلامي كله .؟

الكروان

ألاَ أيها الكروان صحَّتْ لك الرُّبى
وطابت مَجانيها ففيمَ تَصيحُ
أراكَ كأن الوَجْدَ أشجاكَ والأسى
رماكَ فتَغْدو والهـا وتروح
كأنك والأشجارُ أعوادُ مِنبرٍ
خطيبٌ لأرباب الهوَى ونَصيحُ
ألا غنِّني وانشدْ فؤاداً أضلَّهُ
عُيونُ المَها علَّ الفؤاد يلوحُ
وآسِ ربما توحيه قلبى فَربّما
تَقرَّحَ قلبُ المرءِ وهو صحيحُ

محمد محمود الرافعي

الشافعي واضع علم اصول الفقه

للاستاذ مصطفى عبد الرازق(1)

استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

الشافعي هو أحد الأئمة الأربعة الفقهاء : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م ، وأبي عبد الله مالك ابن انس الاصبحي المدني المتوفى سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المكي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م ، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل البغدادي المتوفى سنة ٢٤١ - ٨٥٥ م ،

وهؤلاء الأئمة هم الذين استقرت مذاهبهم في الفقه الاسلامي بين جمهور المسلمين منذ نحو ألف عام.

وتلاشى ماعداها من المذاهب كمذهب « الحسن البصري » المتوفى سنة «١٦١ هـ — ٧٧٧ م» ومذهب «سفيان الثوري» المتوفى سنة «١٦١ هـ — ٧٧٧ م» ومذهب «عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي» المتوفى سنة «٢٤٠ هـ — ٨٥٤ م» ومذهب «محمد بن جرير الطبري» المتوفى سنة «٣١٠ هـ — ٩٢٢ م»

وطالت مدة المذهب الظاهري الذي أسسه « داود بن علي الأصفهاني » المتوفى سنة «٢٧٠ هـ — ٨٨٣ م» وزاحم المذاهب الأربعة ودرس بعد القرن الثامن

والتنافس بين المذاهب الاربعة على الغلبة والانتشار والسلطان قديم يرجع الى عهودها الأولى ، ولعل بعض آثاره لاتزال باقية إلى اليوم

ولئن كان هذا التنافس قد أدى في بعض الأحايين الى اثارة أحقاد وفتن بين العامة فأنه في أكثر أمره كان سبب حياة عقلية ونشاط فكري وتسابق الى الأتقان والكمال في البحث العلمي

فأن أهل كل مذهب كانوا لايفتأون يتفننون في جعل مذهبهم ميسراً لأفهام الناس وأذواقهم ، متسعا لما يتجدد من حاجاتهم ، متميزا بلطف الاستنباط وحسن التخريج ، وكثرة الجمع للمسائل موجودة التأليف حتى أصبحت علوم الأحكام الشرعية أكمل مظهر للمجهود العقلي العظيم في الاسلام بوفرة أبحاثها ومؤلفاتها التي لا يحصى

(١) نص محاضرة القاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية

عديدها وبما فى كثير من هذه المؤلفات والأبحاث من ابتكار وأبداع

لا جرم كان التراث الفقهى الاسلامى من أنفس ما أدخر البشر من مباحث المتفقهين .

ولا نزاع فى أن لأشخاص واضعى المذاهب أثرا فى رواج مذاهبهم وإقبال الناس عليها وتغلبها على ما عداها .

وقلما تمتاز عند الجمهور مقالات المفكرين عن صورهم وأشخاصهم .(١)

ومن أجل هذا كان من وسائل أهل المذاهب الأربعة لنشر مذاهبهم والدعوة لها : وضع المصنفات فى مناقب الائمة أصحاب هذه المذاهب ، وفى الترجمة لحياتهم على وجه يبرز فضائلهم ويبين مزايا مذاهبهم

وقد تفرد الائمة الاربعة بكثرة مادون من المؤلفات فى تراجمهم حتى ليقول « أبو زكريا النووى » المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م فى شرحه للمهذب المسمى بالمجموع : « وقد أكثر العلماء من المصنفات فى مناقب الشافعى رحمه الله وأحواله من المتقدمين كداود الظاهرى وآخرين ، ومن المتأخرين كالبيهقى وخلائق لايحصون »

ويقول أبو حفص عمر بن أبى الحسن الشافعى المعروف بابن الملقن فى كتابه « العقد المذهب فى تاريخ المذهب » المؤلف فى القرن الثامن الهجرى : « وترجمة الشافعى حذفناها فى هذا المؤلف لأنها أفردت تأليفا فبلغت نحو أربعين مؤلفا »

على أن كثرة هذه المؤلفات وان وفرت للمؤرخ مراجع البحث فأنها تقوم فى الغالب على العصبية لامام على أمام ، فلا تخلو من سرف فى المدح وسرف فى الذم ، وجدل فيما ينسب لهذا من المناقب وما ينسب لهذا من الهنات . ولا تخلو من اعتماد على روايات ظاهرة البطلان وعلى الأحلام والرؤى .

ومن أمثلة ذلك : ماورد فى كتاب مناقب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان لمحمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردى صاحب فتاوى البزازية المتوفى سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٣ م ، من عقد فصل لصفة الأمم فى التوراة .

وقلما تجد كتابا فى مناقب الأئمة ألاوفيه باب لما رأى الأمام المترجم له فى المنام وما رؤى له .

نعم لكل ذلك وزنه ودلالته فى نظر الباحث . لكن التقصى لهذه المقالات فى مصدرها والمقارنة بين رواياتها المختلفة واعتبار حجج المثبتين لها والمزيفين مالا يدخل فى غرضنا ولا يتسع له المقام

غرضنا من هذا البحث أن ندرس مايتعلق بأثر الشافعى فى تكوين العلم الأسلامى .

ولما كان وصف الأثر العلمى للأمام يستدعى تصوير شخصيته التى صدر عنها هذا الأثر ، فأنى اجعل هذا البحث قسمين

ا ــ مايتعلق بالشافعى فى خاصة نفسه من نشأته وسيرته

ب ــ مايتعلق بأثر الشافعى فى وضع علم « أصول الفقه » وأتناولهما على هذا الترتيب

ا ــ نشأة الشافعى وسيرته

يقول أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى المالكى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه « الانتقاء فى فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء : مالك ، والشافعى ، وأبى حنيفة رضى الله عنهم » لاخلاف علمته بين أهل العلم والمعرفة بأيام الناس من أهل السير والعلم بالخبر والمعرفة بأنساب قريش وغيرها من العرب ، وأهل الحديث والفقه أن الفقيه الشافعى رضى الله عنه هو ، محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى ، والنبى صلى الله عليه وسلم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ،

والشافعى محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، وإلى شافع ينسب ، وقد تقدم أنه شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى ،

فالنبى صلى الله عليه وسلم هاشمى ، والشافعى مطلبى ، وهاشم والمطلب أخوان أبنا عبد مناف ، ولعبد مناف أربعة بنون : هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس ــ (ص ٦٦) وهذا الذى لم يكن

---

(١) نقل ابن حجر عن زكريا الساجى أنه سمع هارون بن سعيد الأيلى يقول . مارأيت مثل الشافعى ، قدم علينا مصر فقيل قدم رجل من قريش فقيه فجئناه وهو يصلى فما رأينا أحسن صلاة منه ولا أحسن وجها ، فلما تكلم مارأينا أحسن كلاما منه . فالتفتنا به . ص ٥٩

وأخرج الأبرى من طريق الربيع قال : لما قدم الشافعى مصر وتقدم فى مجلسه كان بحياله رؤساء أصحاب الحلق عبد الله بن عبد الحكم ونظراؤه ، وكان الشافعى حسن الوجه والخلق ، محببا الى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والاعيان ص ٦٢

يعرف فيه ابن عبد البر خلافا من نسب الشافعى قد حدث فيه الخلاف .

قال فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ — ١٢٠٩م فى كتابه فى مناقب الامام الشافعى :

(وطعن الجرجانى وهو واحد من فقهاء الحنفية فى هذا النسب وقال : إن أصحاب مالك لا يسلمون أن نسب الشافعى رضى الله تعالى عنه من قريش ، بل يزعمون أن شافعا كان مولى لأبى لهب فطلب من عمر أن يجعله من موالى قريش فامتنع ، فطلب من عثمان ذلك ففعل ، فعلى هذا التقدير يكون الشافعى رضى الله تعالى عنه من الموالى لا من قريش) . ص ٥

وعرض الرازى للرد على هذه الدعوى بما لا نرى حاجة للاطالة به مادام صاحب الطعن يعزوه إلى أصحاب مالك ، وقد نقلنا عن أمام من أئمة المالكية ما ينقض هذه الدعوى التى يقول فى أمرها الرازى : « واعلم أن الجرجانى انما أقدم على هذا البهتان لأن الناس اتفقوا على أن أبا حنيفة كان من الموالى ، ألا أنهم اختلفوا فى أنه كان من موالى العتاقة أو من موالى الحلف والنصرة ، وطال كلامهم فى هذا الباب وأراد أن يقابل ذلك بمثل هذا البهت ، وما مثله فيه إلا كما قال الله تعالى : «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» ص ٧ و ٨

وقد يكون أصل هذه الحكاية ماذكره الخطيب البغدادى فى ترجمته للشافعى من أن أم شافع أم ولد

فالشافعى من جهة أبيه قرشى مطلبى ليس فى ذلك نزاع يقام له وزن ، وأن كانت أم جده ليست من العرب

وقد ذكر الكثيرون ممن ترجم للشافعى : ان جده السائب أسلم يوم بدر ، وكان صاحب راية بنى هاشم مع المشركين فأسر ففدى نفسه وأسلم وروى : انه اشتكى فقال عمر : اذهبوا بنا نعود السائب ابن عبيد فأنه من قريش ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : حين أتى به وبعمه العباس : هذا أخى

أما ابنه شافع فلقى النبى وهو مترعرع ، فالسائب بن عبيد صحابى ، وابنه شافع صحابى ، وأخوه عبدالله بن السائب والى مكة صحابى

وروى ابن حجر العسقلانى الشافعى المتوفى سنة ٨٥٢هـ — ١٤٤٨م فى كتاب « الأصابة فى تمييز الصحابة » عند الكلام على عبد يزيد بن هاشم بن المطلب روايات قال على أثرها :

(وعلى هذا فيكون فى النسب أربعة أنفس فى نسق من الصحابة : عبد يزيد وولده عبيد ، وولده السائب بن عبيد ، وولده شافع بن السائب) ج ٨ ص ١٩٣

ويظهر ان بيت الشافعى كان بيت حكم وعلم فى مكة . فقد رأينا أن عبد الله بن السائب أخا شافع بن السائب كان واليا لمكة .

وقال ابن حجر العسقلانى فى كتابه « توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس » : (وأما عثمان بن شافع فعاش الى خلافة أبى العباس السفاح ، وله ذكر فى قصة بنى المطلب لما أراد السفاح اخراجهم من الخمس وأفراده لبنى هاشم ، فقام عثمان فى ذلك حتى رده على ما كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم) ص ٤٥

وذكر ابن عبد البر فيمن أخذ عن الشافعى علمه من أهل مكة ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع قال : (وهو ابن عمه ، وروى أيضاً عن ابن عيينة وغيره وكان ، ثقة حافظاً للحديث ولم ينتشر عنه كبير شىء فى الفقه ، وكان منشؤه بمكة وتوفى بها سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وحدث عن جماعة) ص ١٠٤

ولسنا نعرف من أمر إدريس والد الشافعى ألا أنه كان رجلا حجازيا قليل ذات اليد ، وأنه خرج مهاجرا من المدينة حين ظهر فيها ، بعض ما يكرهه ، أو خرج من مكة الى الشام لحاجة فى رواية أخرى ، وأقام بغزة أو بعسقلان من بلاد فلسطين ثم مات بعد مولد الشافعى بقليل .

أما أم الشافعى فهى أزدية فى أرجح الروايات ، وهى الرواية المشهورة المعزوة الى الأمام نفسه ، وذكر بعض المؤرخين أن كنيتها « أم حبيبة الازدية » .

ونقل بعض أصحاب التراجم أن أم الشافعى هى فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب .

وقيل : فاطمة بنت عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على

وقالوا : انهم لا يعلمون هاشميا ولدته هاشمية ألا على بن أبى طالب والشافعى

ورجح هذا القول ابن السبكى فى كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » لكن الفخر الرازى يرى : ان هذا القول شاذ ، ويقول ابن حجر العسقلانى : انه لم يثبت ويرده كلام الشافعى نفسه . قال ابن السبكى : « ولله درها من أى قبيلة كانت ! »

قال ابن حجر : (ومن ظريف ما يحكى عن أم الشافعى من

الحدق : انها شهدت عند قاضى مكة هى وأخرى مع رجل . فأراد القاضى أن يفرق بين المرأتين، فقالت له أم الشافعى: ليس لك ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « أن تضل احداهما فتذكر إحداهما الاخرى » فرجع القاضى لما فى ذلك . وهـذا فرع غريب واستنباط قوى)

ولو أن أم الشافعى كانت بهذه المثابة من دقة التفريع وقوة الاستنباط لعرف التاريخ على الاقل اسمها وعرف اين وافاها حمامها وفى أى زمن(١)

هذه السيدة التى يختلفون فى نسبها ويختلفون فى اسمها هى التى كفلت طفلها يتيما غريبا فقيراً ، ولم تزل ترعاه بعنايتها وتتولاه بجهدها حتى أصبح بين المسلمين إماماً

خرج ادريس بن العباس والد الشافعى من مكة مهاجراً يفر من الظلم أو يفر من الفقر أو يفر من كليهما ، وقد يكون فى طريقه الى فلسطين أقام فى المدينة زمنا ، فقال بعض الرواة : ان هجرته كانت من المدينة ثم نزل فى غزة أو فى عسقلان ، وهما ثغران من ثغور فلسطين متجاوران ، وعسقلان هى المدينة ، وأقام هناك مع زوجه التى وضعت له طفلا ذكرا لم يكد يتم الحياة حتى أدرك الموت باه .

هـذا مولد الشافعى ، ولا خلاف بين الرواة فى ان الشافعى ولد « سنة ١٥٠ هـ » وهى السنة التى مات فيها أبو حنيفة على الصحيح كما ذكر ابن حجر وغيره (٢) (يتبع)

---

(١) فى كتاب الكواكب السيارة « فى ترتيب الزيارة » تأليف شمس الدين محمد ابن الزيات : « ويقولون (عن قبر من القبور) أم الامام الشافعى وليس بصحيح فأنها بمكة . قال المؤلف عفا الله عنه : دفنت فاطمة أم الامام الشافعى بمكة وهو الاصح »

(٢) وفى كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان لابى محمد عبد الله بن اسعد بن على ابن سليمان عفيف الدين اليافعى اليمنى المكى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

« وقلت وبينا وبين الحنفية مقارلة على سبيل المزاح ، فهم يقولون امامكم كان مختبئا حتى ذهب إمامنا ، ونحن نقول لما ظهر إمامنا هرب إمامكم » ج ٢ ص ٢٥ وهكذا يمزح المتفقهون .

صـــدر حديثا كتاب

ابن خلدون

حياته وتراثه الفكرى

عرض نقدى فى مائتى صفحة طبع مطبعة دار الكتب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

يطلب من المؤلف بلجنة التأليف والترجمة والنشر

جنون الشباب

أفدى بروحى الغانيا ... ت المائسات قدودهنه
الخالعات على الحيا ... ء رواءها بجاهليهنه
الناعمات الغيد ير ... شف كالمدامة ريقهنه
الباعثات بكل قلـ ... ـب وجده ألحاظهنه
يمرحن فى ظل الشبا ... ب فترتقص الدنيا لهنه
خطواتهن على الفؤا ... د كأنها وقع الأسنه
الشعر والسحر الحلا ... ل وفتنة الألباب هنه
وإذا أردن جعلن من ... صحراء هذا العيش جنه
لله يوم كنت فيـ ... ـه صريع نبل جفونهنه
ما أعذب الألم الذى ... يصلاه قلبى عندهنه!
آمنت بالحسن المبيـ ... ـن وهمت منه بكل فتنه
لولا الجمال لكانت الد ... نيا كأسداف الدجنه
ياطيب أحلام الصبى ... من بلسم ياطيبهنه!
إن الحياة هى الشبا ... ب فان تولى فهى محنه
رق النسيم ورجع الـ ... ـغريد فى الاغصان لحنه
فاغنم ربيع العمر غضـ ... ـاء فالشباب هوى وجنه

دمشق — حلمى اللحام

* * *

راعى الغنم

ياليتنى راعياً غنما ... فى البر اقضى الحياة منفردا
لى أمة اينما ذهبت معى ... تذهب لما ارتضت هداى هدى
امة ضأن قد ارتضيت بها ... اهلا كما اخترت ولدها ولدا
فكل صبح نمضى الى وطن ... وكل يوم نبنى لنا بلدا
موطننا حيثما يطيب لنا ... وكل رض عشنا بها رغدا
آنس فيها إما وجدت اسى ... أوتلتجى لى إمارات احدا
حينا تراني كالفيلسوف بها ... يضرب فى الكون ناظرى صعدا
وتارة شادياً أردد فى ... لحنى وأصغى اذ تستجعل صدى
تهيج نانى النعاج ثاغية ... مثال جوقين بالغنا اتحدا
وتارة أغتدى لها ملكاً ... تطيع امرى مهما رفعت يدا
وكيف ارضى بذبح واحدة ... منها وقد اغدقت على ندى
تأكل عشب الثرى وترضعنى ... دراً وتكسو بالصوف لى جسدا
عمرى عيشى فى الضان لاعمر ... يذهب بين الورى على سدى

احمد الصافى النجفى

الطبيعة فى شعر ابن خفاجة

١

فى سنة ٤٥٠ للهجرة ولد الشاعر ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة فى الاندلس فى جزيرة شقر ونشأ فيها كما ينشأ غيره حسب نظام الحياة فى تلك العصور على اخذ اللغة العربية عن الرواة والنحويين ، وعلى تلقى احكام الفقه عن الفقهاء والمعلمين ، حتى كانت له فى الفقه مكانة لم ينكرها معاصروه فلقبوه بالفقيه .

ربما خطر ببالك اننا سنأخذ بعد هذه المقدمة فى وصف حياة الشاعر بعد زمن التعلم ، وربما لاح لك ان حياته بعد ان صارت له فى الفقه تلك المكانة ستكون مملوءة بالاحاديث العلمية والمجادلات الدينية وانه سوف لايخرج من مجلس علماء الا ويدخل فى مجلس فقهاء ، ربما لاح لك ان حياته ستكون بعد ان لقب بالفقيه حياة مدرس جاد او قاض عادل ، او انه سيسلك سبيل المناصب فى الدولة من أمارة أو وزارة ، ربما لاح لك ذلك على وجه الظن ان لم يكن على وجه التحقيق ، لانه نتيجة محتومة لحياة التلمذة التى قضاها بين الجد والدرس ، وبين مسائل الفقه وأحكام الدين ، وبين كتب الكوفيين وكتب البصريين ، فنحن نجيبك عما خطر ببالك بالايجاب ، وعما لاح لك بالسلب ، ونقول فيه انه كان فى طبيعة ابى نواس وفى حاله فقيهان غلب عليهما الشعر ، وعالمان غلب عليهما الظرف والدعابة

عاش ابن خفاجة فى الاندلس وهى يومئذ جنة الله فى ارضه ، اكسبها موقعها اعتدال المناخ ورقة الهواء ، وسقاها الغمام من دموعه ، فى أكثر ايام السنة ، وتفجرت ارضها بالينابيع والجداول فى كثير من وديانها ، ونبتت الاعشاب والازهار حول هذه المياه ، وقامت فيها الاشجار فلا ترى اذا سرت فيها الا مياها قوية دافقة ، وظلالا وارفة واسعة ، فى إيام استتب الامن فيها على يد العرب الفاتحين ، وعملت يدهم فيها فأقاموا الجسور وشيدوا القصور وبنوا المدن ، ثم خططوا الرياض والبساتين وغرسوا بها الاشجار والأزهار والرياحين ، واسالوا اليها مياه الانهار والجداول ، واقاموا فيها البرك الجميلة ، والبحيرات الواسعة ، والمجارى الكثيرة ، فدنت قطوفها وكثرت خيراتها ، وتحولت من حقول خربة واسعة واحراج كثيفة الى بلاد عامرة ، ورياض زاهرة ، وقصور مشيدة ، وتحولت من ملك مضطرب قبل الفتح الى ملك ثابت وطيد بعده ، وتحولت حياتها من حياة ريفية مقلة ، الى حياة مترفة ساحرة

وكان من الطبيعى ان يكون لسكان تلك الأرض عواطف رقيقة ونفوس جميلة لما للطبيعة الماثلة فى كل وقت وفى كل مكان امام اعينهم من أثر ، ولما فى حياتهم من ترف ونعيم

وابن خفاجة فى حياته يمثل لنا الرجل الاندلسى الذى عاش فى تلك العصور احسن تمثيل ، وفوق ذلك كان لايميل الى مناصب الدولة ولم يكن له عمل من الاعمال العامة ، وانما عاش كما وصفه الاستاذ الزيات فى كتابه تاريخ الادب العربى (عيشة الفنانين خليع العذار طليق الاسار) وكان له من طبيعته خير مساعد على الهرب بنفسه من بين كتب الفقه والنحو ، ومن بين جدران قاعات الدروس والمجالس العلمية ، فاقتصر فى حياته على مشاهدة طبيعة بلاده الساحرة ومناظرها الزاهية ، فى اجتماعاته على مجالس الادباء والشعراء فى بياض يومه ، وحضور ليالى اللهو والخمر تحت اشجار الأراك بين الاباريق والاقداح وبين الورد والريحان ، حتى يمسح الصبح كحل الظلام (فامتلات عينه ونفسه من جمالها ، وراح يبرز هذا الجمال المعنوى فى حلل شعرية)

المنا فى المقدمة السابقة المامة قصيرة بوصف طبيعة الأندلس ، وطبيعة ابن خفاجة ، كالاولى كانت جميلة المناظر ، زاهية الالوان ، والثانية كانت كوجه البحيرة صفاء وركودا ينعكس فيها كل مشهد من مشاهد الكون جميلا جذابا ، وقلنا ان طبيعة ابن خفاجة احبت طبيعة بلاده حبا بلغ به حد الغرام حتى هجر حياة الدرس وحياة العمل ومجالس العلم واقتصر على حياة كحياة الفنانين الذين ينقطعون الى مشاهدة مناظر الحياة التى تتعلق بفنهم ، ولعلك ترانا محتاجين الى مثل هذه المقدمة ، فان الموضوع الذى كلفنا انفسنا بحثه يحتاج الى مثل هذه المقدمة ، اذ كل مانقصد من هذا الموضوع أن نقدم بين يديك الصور التى اجتلاها بن خفاجة عن الطبيعة .

ترى الطبيعة فى شعر ابن خفاجة ماثلة واضحة ، تقرأ له القطعة فترى وتسمع وتشم . ترى المناظر واضحة جلية ، وترى خضرة الاشجار ، وحمرة الأثمار ، وبياض الحباب ، وصفرة الشمس ، وترى ذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء ، ثم تسمع نشيد المغنى ووقع الرباب

وغناء الحمام ،ورنين المكاء وخرير الماء ، ونسم عرف الروضة الغناء ، وأريج الأزهار البيضاء ، ورائحة الورد الحمراء ، ثم تقرأ له من التشبيه الساحر والطباق الدقيق ، والكناية اللطيفة مالا يخرج عن الربا الخضراء والوهاد الشجراء والادواح اللفاء ، ومالا يخرج عن العبر والعرار والسوسن والاقحوان . ان بلاداً يصفها الشاعر فيما يصف فيقول :

يا أهل اندلس لله دركموا ماء وظل وانهار وأشجار
ماجنة الخلد الافى دياركمو ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تحسبوا بعد ذا ان تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وان حياة يحياها الشاعر كما وصفها فيقول:

انمــا العيش مدام احمر قام يسقيه غــلام احور
وعلى الاقداح والاداوح من حبب نور وتبر اصـــفر
فكأن الدوح كأس أزبدت وكأن الكأس دوح مزهر

ان تلك الارض وهذه الحياة لدليل واضح على صفاء نفسه ودقة حسه ،وعلى تأثيره بمشاهد ارضه الى حديثه جنون الفنانين فقد كان يذكر الطبيعة فى مواقفه التى وقفها راثيا باكيا وفى مواقفه التى وقفها زاهدا متململا ،وفى مواقفه التى وقفها معاتباً معضا ،وفى مواقفه التى وقفهامادحا بمدح الاخوان والقضاة ،وفى مواقفه مداعبا اخوان الود ورفاق اللهو والسمر

لقد كان للطبيعة فى لطف نفس الشاعر ورقة حسه أثر ، وكان للطبيعة فى شعره ظل ، وكان للطبيعة فى كل أغراضه التى قال بها الشعر ذكر ،فهو (شاعر الطبيعة ومصورها) كما قال الاستاذ الزيات

٢

نفس الشاعر : لابن خفاجة فى شعره صورة صادقة من طبيعة نفسه ففى قوله :

انمــا العيش مدام احمر قام يسقيه غلام احور

الى آخر الابيات صورة لتلك النفس التى لا ترتاح الا الى خمرة حمراء من يد جميل احور فى ظل الدوح المزهر

فهو لا يرى فى الحياة شيئا غير هذا ، او كأنه لا يريد ان يرى فى الحياة شيئا غير ماذكر ، اوقل انه يضع بذلك نموذجا للحياة اللذيذة كيف تكون ، ألا ترى انه كيف عكف على رشف الكؤوس الحمراء ومراقصة الاغصان الخضراء :

عاطر اخــلاك المداما واستبق للأيكة الغماما
وراقص الغصن وهو رطب يقطر او طارح الحمــاما

فهو لا يرى للحياة ان تنهك الاذهان بالتفكير فيها ، ولا يرى لها ان تملك المرء بالعمل لها . وليس للحياة ان تجعل من الانسان عبداً ذليلا للجد والعمل . ولكنه يرى ان تكون الحياة ألهية جميلة يتلهى بها الانسان عن مشاقها . ويتسلى بها عن احزانها ، ويرتاح لها ، ولا يرى فى الحياة الذ من رشف الكأس الوردية ، ولا أروح للنفس من مراقصة الاغصان الرطبة . ولا الذ فى السمع من مطارحة الحمام ولا اجمل فى العين من الوان النور فى الصباح والمساء فى الروضة الغناء.

فابن خفاجة لا تطيب له الحياة الا عند شواطىء الجداول والينابيع وتحت ظلال الادواح ، وبين الاباريق والاقداح انظر اليه كيف يقول :

اما لديك حـــلاوة اما عليك طـــلاوة
طايب وداعب ولاعب واترك ســجايا البداوة

فكأن حياة الجد وطبيعة الانقباض والوحشة لا تتوافق مذهبه اوفق لا تتشابه ولا تتجانس مع طبيعته التى تعشق السرور . ونفسه التى تحب اللهو والعبث .

لم يبق بعد هذا من شك فى ان طبيعة الرجل كانت طبيعة سرور وطرب ، بل كانت فوق ذلك طبيعة متفائل يهزأ بمصاعب الحياة وليس من شك فى ان نفسه كانت تميل الى الهزل وتميل الى العبث ،بل ليس من شك فى ان حياته كانت حياة مستهتر يهرب من وجه الحياة العابس الى وجهها الضاحك ، فلم يتول عملا من الاعمال العامة . ولم يتصد لمدح الامراء والوزراء والملوك على كثرة تهافت العلماء عليهم ، وعلى حاجة الملوك الى امثاله .

هنالك ملاحظة اخرى : هى ان ابن خفاجة كان على علمه وفقهه لا يشتغل بالعلم ولا بالفقه ، ولعله كان يعتقد ان للعلم فضيلة فى ذاته وان على الانسان ان يتعلم العلم لا ليجعله آلة تدر عليه المال ، بل كان يعتقد ان العلم جمال لاهله وزينة لهم . ومثل هذا الاعتقاد تجده فى قوله :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى اصابوا فرصة فى اخذ مال مساجد وكنائس

فهو ينعى على اولئك الذين يجعلون العلم وسيلة لتصدر المجالس ، ولنهب المساجد والكنائس ، ويعيب عليهم ذلك . ولعل هذا هو السبب الذى دعا ابن خفاجة الى ان يعرض عن مجالسة علماء عصره وان يصدف عن مجالس العلم ومسائل الفقه ، وان يقتصر فى مجالسه على مجالس الادباء والشعراء ، وان يقتصر فى احاديثه على ذكر المتنزهات ، وان يقتصر فى شعره على وصف الطبيعة :

هذه هى الصورة الواضحة التى نراها للرجل فى شعره . نفس تميل الى السرور والبهجة وطبيعة تهرب من الجد الى الهزل ، ومن الانقباض إلى الانشراح ، ومن اللذة الآجلة الى اللذة العاجلة ، ومن التحجب والحياء والتكلف الى اللهو والعبث والمجون . فليس بغريب ان تميل هذه النفس وتلك الطبيعة الى مجالس السرور والطرب والى معاطاة المدام ، وليس بغريب بعد هذا أن يصف ابن خفاجة فى شعره مجالس انسه ، وأن يصورلنا بمقطوعات رائعة الأنهر الفياضة والضفاف الخضراء والرياض الفيح .

وصف الطبيعة : — وفى وصفه مناظر الطبيعة وفى تشبيهه إياها بمناظر وأشياء تشابهها لا يخرج فى كل هذا عن الطبيعة فى شىء . فيشبه النهر المتعطف والازهار النابتة حوله بمجرة السماء .

متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجر سماء

ويشبه أيضاً وقد حفت به الغصون باهداب العين الزرقاء .

وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء

ويصف موقد قد اشتعلت فيه النار فيقول .

منقسم بين رماد أزرق وبين جمر خلفه يلتهب
كأنما خزت سماء فوقه وانكدرت ليلا عليه شهب

فهو فى وصفه الطبيعة لايخرج عن الأوصاف والتشبيهات التى تحتويها الطبيعة : فالنهر المتعطف والازهار النابتة حوله ، وزرقة النهر واغصان الاشجار القائمة على شاطئيه ، والموقد المشتعل ، والرماد الازرق والجمر الاحمر ، كلها مناظر طبيعية ؛ كذلك مجرة السماء والمقلة الزرقاء والسماء المتساقطة ، والشهب المتكدرة كلها مناظر طبيعية ، ومن هذا يمكنك ان تلاحظ الى أى حد بلغ غرام ابن خفاجة بالطبيعة وحبها . وانظر اليه كيف يصف ما فعل بهم الطرب وكيف يشبه الهلال بالطوق المذهب :

واهتز عطف الغصن من طرب بنا وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به طوق على برد الغمامة مذهب

فهو يشبه اهتزازهم من شدة الطرب وقت المساء الساحر بالغصن يهتز وينعطف ، ثم شبه الهلال الذى ابتسم عند المغرب بطوق ذهبي على برد الغمامة . وقال يصف الصباح الرائع .

والصبح قد صدع الظلام كانه وجه وضيء شف عنه قناع

فقد شبه نور الصبح حين ينتشر فيمحو ظلمة الليل بوجه وضاء شف عنه قناع رقيق . ويصف الصباح فى غير موضع فيقول :

وقد مسح الصبح كحل الظلام وأطلع فود الدجى اشيبا

فكما ان الصبح المضيء والدجى المظلم من مناظر الطبيعة فكذلك كحل الظلام وفود الدجى الاشيب صورتان عن الليل المظلم والصباح المنير ، ويقول فى تشبيه الظلام بالكحل والقطر بالعبرات

يجول للغيم كحل فيه وللقطر عبرة

فلم يخرج فى تشبيه الغمامة الدكناء والامطار الهاطلة عن كحل الكاحل وعن العين المستعبرة . ويشبه خيوط الشمس الذهبية فى المساء ، ولون الماء الصافى فيقول :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والذهب الاصفر واللجين الفضى كلها الوان طبيعية : فكأن ابن خفاجة يحتقر الصناعة ويحتقر الوانها ، فلا يشبه مناظر بلاده التى يراها الا بمناظر والوان طبيعية ؛ ولا يصور الطبيعة الا بالوان وأدوات طبيعية ، أو قل انه رأى ان الصناعة والحياة الاجتماعية اقل مناظر واقل الوانا من الطبيعة ، فالعها اليها يمتع الطرف ويقول الشعر ويصف الشيب والشباب فيقول :

فاحسن من حمام الشيب عندى غراب شبيبة ألف النعيبا

فهو يشبه الشيب المخضب بالحناء بالحمام ، ويشبه شعر رأسه الاسود فى زمن الشباب بالغراب ، ثم يقول : ان نعيب الغراب المشؤوم احسن عندى من هديل الحمام المحبوب

ونختم كلامنا الآن بهذه المقطوعة وهى تصف عشية من عشيات الانس ، ولاحظ اذا شئت فيها انه لايخرج فى تشبيه مناظر الطبيعة عن الطبيعة

وعشي انس اضجعتنى نشوة فيه تمهد مضجعى وتدمث
خلعت على به الأراكة ظلها والغصن يصغى والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة والرعد يرقى والغمامة تنفث

(يتبع) ادلب : عبد الرحمن جبير

من الأدب الغربي

من كتاب الحب

للكاتب النرويجي بيتر نانزن

نقلاً عن الترجمة الألمانية

حبيبتي اشهى النساء الى النفوس ، لقد وهبني غيرها من النساء حبهن فكن يذهبن ويجئن ، بعضهن مرة وبعضهن مراراً ، إنني اشكر لهن جميعاً ، ولكني كنت انساهن حين يجاوزن عتبة الدار .

على أنني كنت دائماً مشغول الفكر بواحدة أخرى ، أفكر فيها حتى وأنا مع غيرها ، لأنها كانت المثل الذى أقيس عليه الأخريات فلا تستطيع إحداهن أن تكونه .

هي واحدة ليس غير ! كنت دائماً أرجو أن أظفر بمرآها داخلة من الباب ، فان جمالها كان يتجدد في كل مرة اراها .

هي واحدة لا أكثر ! كنت أرغب أن أحيا في ظلها ، لأن العيش معها يفرغ على الحياة الجمال كله ، ويبعث في أفقها اشعة شمس جديدة .

هي واحدة لا اكثر ! كنت اشتهي معها الموت لأني وأنا بجانبها لا أعرف الخوف .

اسم حبيبتي مارية ، وهي اجمل النساء .

*

لست أبالي الثناء الذى يضفي الشاعر حلته على حبيبته الوحيدة ، لأن حكمه كحكم الفلاح الجاهل . وغالباً ينطق كل شيء بأنها لا تستحق كل تلك الكلمات الجميلة التي اغتصبها من اللغة لأجلها .

إن الرجل الذى لا يعرف الالوان أواحداً ثم يزعم أن هذا اللون - وليكن الاحمر او الازرق أو الاصفر - هو اجمل الألوان ، فان حكمه وإن اختلف عن حكم الاعمى ، لا يعدو حكم الاعشى .

ولو أن لي عشيقة تطمئن الى وأنا أقول لها إنك أول من أحببت ، وأنت أنت الوحيدة التي أحببتها ، وإنك اجمل إنسانة . لو انها اطمأنت الى هذا القول لهانت على وسللت ثوبي من ثوبها ، اذ لو كانت على ثقة من قدرها ، أو يعنيها أن يزداد حبي لها ، لقالت : اتخذ لنفسك عشر عشيقات أو عشرين ، واختر منهن من يقتتل عليها الرجال ، فاذا ما ملكتهن جميعاً ثم رجعت الى تصفني باني اجمل امرأة في الدنيا فعندئذ أتخر بذلك وأكون سعيدة .

فانا ان قلت لمارية إنها اجمل من أظلهن الافق فليخفق قلبها خفقات السرور ، فاني ما كنت الأمين في حبها الا ساعة أيقنت أني أقول الحقيقة .

ما عرفت أني جهرت بالحقيقة الا حين شعرت بأني سأفقدها الى الأبد .

إنها تجربة الحب التي أرجو أن تقع لكل انسان ، إنها تجربة بعث الألم لأنها من نار .

الألم يفصح ويثمر ، فالحب الذى يذوى بالنزق ، ينمو بالألم ويترعرع . فبوركت أيها الألم لانك ثبت في قلبي حب مارية .

***

عرفتها وهي كالطفلة الغريرة الساذجة . وإني لأراها في ذلك اليوم وهي على ثقة من نفسها ، فكانت تحاول أن تظهر كالمجربة ، فكانت تحدث عن الحياة كأنما سبرتها الى الغور ، ولاقت من التجاريب ما كشف لها عن الحياة وزورها ، ووقفها على فتنها وغرورها ، فلت كل شيء وكانت تؤكد — وهي تنظر بعينيها الصافيتين كعيون الاطفال — أنها تفكر حقا في الالتحاق بالدير ، لأنها تعلم أن حياة التجرد الهادئة تعينها على احتمال البقية الباقية من الحياة التي فرضها عليها القضاء ، فانها كما كانت تؤكد ، ترى أن السعادة في الحب ، وقد فرغت من هذا الامر منذ زمن وقالت : « لقد أحببت خطيبي ، وكان طالباً ، ولكنني الآن أحتقره وأمقت عبارات الحب التي كان يقولها ، انني لا أصلح للحب »

كانت تقول هذا بصوت خافت وقد احمرت وجنتاها وبرقت عيناها ، وفي حياء المرأة التي لاتصلح الا لشيء واحــد . . . هو الحب .

عندما وقفت تلك الفتاة الرشيقة امامي تقص على تجاربها المحزنة شعرت بأنني أصبحت عاشقا .

ما كان أجملها وعلى وجهها سمات الألم البريئة ، وما كان أحلاها في ثوبها الجميل !

***

لن أنسى ثوب مارية الجميل ساعة عرفتها لأول مرة . لقد جاء وقت كان فيه لمارية كثير من الثياب . ولكنها كانت أجمل ما تكون في ذلك الثوب الذى كان وحيدها يومئذ . إنه ثوب بسيط نصفه الأعلى صدار أبيض موشى له لمعة الحرير وإن لم يكن حريراً وتزر طوقه حول عنقها بمشبك دقيق مموه بالذهب .

كانت ككل فتيات المدن الصغرى يخرجن يوم الأحد للنزهة فتسفر وجوههن عن الجمال وتنم ثيابهن عن معرفة أمهاتهن بقواعد الاقتصاد

كان هذا الصدار بسيطا ومقبولا لدى الذوق ، ولشد ما كانت

تحرص على ألا يعلق به قذى . ولما أبى القدر القاسي الا أن تقع عليه بعض قطرات من النبيذ نشطت فى حماسة تغسل تلك البقع الرذلة ، متظاهرة بعدم المبالاة كأن لديها الكثير من الثياب الجميلة الغالية .

يالك من فتاة صغيرة جميلة لاتحسنين الكذب : فما كان أيسر على المرء أن يستشف قرارة نفسك وأنت منهمكة فى التنظيف تؤكدين أنه لم يحدث ضرر لأن الثوب عتيق !

هذا الثوب العتيق هو ثوبك الوحيد . . . . . تكاد الدموع تنحدر من عيني كلما خطر ببالي ذاك الخاطر . فى خلال هذا الصدار الرقيق تروحت لأول مرة شذى جسمك الطيب وشعرت بدقات قلبك المضطربة

***

فى ذلك الوقت كنت أشعر بعطف على تلك الفتاة الصغيرة ذات الصدار الموشى ، التى كانت تتكلم كذوات السن من النساء . وأعتقد أن لهذا الصدار أثراً كبيراً فى ليني ورقتي لمارية : هذا الصدار الذى كان تملكتها الوحيدة والذى كانت تحرص ألا يبلى

يقف الرجال غالباً من النساء مواقف الاغبياء لانهم يكثرون من الحرص والحذر . فالمرأة لاتريد أن تخدع بالكلام ولكنها تحب أن تؤخذ بالقوة فانهن بلا استثناء يشعرن غريزة بأنهن الجنس الضعيف المغلوب ويردن أن يشعرن بارادة الرجل وقوته مسيطرة عليهن ، وتراهن لسبب لايستطعن ايضاحه يحتقرن الرجل الذى يتذلل للحصول على رضاهن ، وهن يعتبرن الرجل الذى يرتد أمام فضائلهن غبياً ، لأن هذه الفضائل ، فى رأيهن ، ماعزت الا لتخضع لليد القوية .

لم أذهب مع مارية ذلك المذهب الحاد لانى كنت واثقا من أنه سيأتى اليوم الذى ترتمي فيه من تلقاء نفسها بين ذراعي لأن هناك مكانها الطبيعي وقد عرفت ذلك من انكسارها امام نظرتى وضغطها يدى ، عرفت ذلك من أول يوم ، اذ وقفت وراءها وهى لاترانى ولا تسمعنى واذا بجسمها يضطرب وتسرى فيه الرعدة من فرع الى قدم .

لم تكن طريقة الهجوم هى الطريقة التى تتبع مع مارية ، وقد رقق الصدار الموشى قلبي حتى أننى لم أرغب فى أن أمتلكها على غرة .

وكما أن البستانى يفرح بزهرة نادرة ويظل يرقبها يوماً بعد يوم وهى تنمو وتتفتح ، فلا يلمسها بيده ، ولكنه يزيل من حولها العشب والاوراق التى تكتنفها وتضيق عليها ، ويعرضها للضوء والحرارة ويتعهدها بالماء والعناية ، هكذا ظللت أرقب مارية وهى تنمو وتكون امرأة ويشتد غرامها .

كان طبيعيا أن يأتى اليوم الذى تسقط فيه الزهرة بين يدى البستانى الذى ظل ينتظرها بصبر وأناة .

*

طال صبر البستانى . وفى بعض الأوقات كانت مارية تجتذبنى من ذراعي وقد ضرجت وجنتيها الحمرة وتقول لى وقد ملأتها سخرية بنات حواء . — هل أنت غبى ؟ ،

تظن المرأة أنها تتمتع باحترام الرجل لها واعجابه بها اذا هى ظلت الى اللحظة الأخيرة تمثل دور المستغواة : وبجمل بالمرأة الا تتورط فى استعمال هذه الألاعيب مع المجربين من الرجال .

ربما كان لهذه الألاعيب تأثير فى الذين يرون أنفسهم لصوص حين يستحوذون على امرأة : ولكن هذه الخدع ، التى لا تتنوع ولا تتغير : قد تهيج نفوسنا وتضطرنا الى الغلظة فى الكلام او المعاملة ، وهذا ينتقص الجمال الكامل ويشوه منظره ويفقد المرأة كثيراً من الذكريات الجميلة فى حياتها .

مارية ! ! يا أرق انسانة شعوراً ! اشكرك لأنك اعفيتنى من هذه الخدع والهازل . من الحياء المتكلف ، من الخوف المموه ؛ من الدموع الكاذبة .

*

مارية كانت لى او لكنى لم اكن لها ، أو على الأقل كنت اعتقد ذلك وكانت هى تعرف هذا حتى أنها لاتطمئن الى خروجي من الباب .

إنى أعرف رأيها فقد صارحتني به مراراً ولم أحاول تفنيده لأنها كانت تعجبنى كثيراً وهى تبدى رأيها .

كانت شديدة الغيرة ، ولكن بذكاء وروية وتسامح .

كانت تعتقد أن لى فى اليوم عشر عشيقات .

أيتها الفتيات الصغيرات ! إنكن تبالغن فى مقدرة الرجل الى حد بعيد ، وتندفعن دائما وراء خيالكن .

فى هذه النقطة لم تكن مارية فى شيمة غير شيمة بنات جنسها .

كانت تزورنى لا أقل من ست مرات فى كل اسبوع وكانت تجدنى كل مرة فى انتظارها باشتياق ، وبالرغم من هذا كانت تؤكد ، وكذلك يقول كل الناس ، أن لى عشرات العشيقات .

لست انكر أنى كنت أخون مارية فى الحين بعد الحين ولكن كنت لها اكثر مما تظن .

أما ما يقوله الناس فلست أباليه .

***

كل الناس !

عبارة اشمئز منها ، ديدان تنساب الى حياتنا المنزلية من ثقب الباب أو من فرجته وتجر معها شيئا من قاذوراتها .

أحكموا اقفال النوافذ والابواب ، حصنوا حياتكم الخاصة بالحديد والفولاذ ، فانكم بالرغم من ذلك ستجدون ، كل الناس ، واقفين ينظرون من الخارج ويظنون ظنون السوء ويعلق الوضر بابوابكم او نوافذكم.

كل يوم أرى على زجاج نافذتى ذبابة تنفس بها العمر تبدو ضعيفة كأنها لا تستطيع الحراك ، ولكنى لا أكاد اقترب منها حتى تكون قد طارت بسرعة .

أنى اسمع طنينها واصطدامها بالزجاج فافتح النوافذ جميعا وأطاردها بالمنشفة ، فاذا بها تختفى فجأة تحت السرير او وراء المرآة أو على اطار صورة حيث تقف لا تبدى صوتاً ...

إنها لا تتركنى وتلحق القذى بفراشى واسمع طنينها المقلق فوق سريرى كل يوم .

وذات مساء بينما كانت مارية تضع عنها ثيابها أمام المرآة واذا بتلك الذبابة القبيحة تقع على جسمها الابيض .

احمد شكرى

من الشعر الانجليزي :

الى الحرب

للشاعر الاسترالى هيلز يدعو الانجليز الى اشراك قومه فى حرب جنوب افريقية

مَاذا غدوْنا ؟ أسوقاً لا ترونَ لها
لولا تجارتُكُم قدْراً ولا شانا؟

أمْ نحنُ بعضُ بنى ذا المُلكِ مابرحوا
منظَّمينَ بهِ خيْلاً ومرّانا ؟

فانْ تكنْ سنعيشُ الدَّهرَ فى رَحِمٍ
كالابنِ والأمِّ إخلاصاً وإيمانا

فلنحتمِلْ معكمْ عبءَ الجهادِ يداً
ولنشهدِ الرَّوعَ أنجاداً وأعوانا

فما أرى الشعبَ شعباً يوم مفخرةٍ
ولا أحسُّ له عزاً وسلطانا

حتى تزُفَّ بنيهـا كلُّ والدةٍ
إلى الرّدى مُسفِراً فى الرَّوعِ عُرْيانا

ها قد دعتْ أسترالْيا فلتلبِّ لها
إنجلترا ولتجيبوا اليومَ نجوانا

منّا ابتسامٌ إلى مَن آبَ فى غدهِ
لنا ودمعٌ على مَن فى الوغى حانا

سنمتطى الخيلَ معْ أفذاذِ من نجبتْ
انكلترا ونخوضُ الهوْلَ أقرانا

لا نبتغى غيرَ ميدانٍ لعسكرِنا
رحبٍ ومدْفنِ أجنادٍ لقتلانا

فخرى أبو السعود

شهيدا الطيران

للاستاذ عبد المغنى المنشاوى

هاضت الأقدار للنسر جناحاً فتردّى من علاه فى الحُفَرْ
وبكاه ملَكُ الموت فصاحا كل شىء بقضاء وقـدر

كنتَ يا بدرُ سميرَ الفَلَكِ مَن سميرُ القبرِ هنا يا ترى ؟
طرتَ يا حجاجُ فوق الفَلَكِ هل تطيرُ اليومَ فى جوفِ الثرى؟

هتفَ الناعى فقلنا كذبا كيف يهوى من سماه كوكبُ
أطلعته مصرُ يروى نسبا فى علاها فحواهُ المغربُ

طار يبغى وكرهُ مقتحما كلَّ لُجٍّ لا يبالى الغرقا
واحتواه شوقه مضطرما فتلظّى قلبُه فاحترقا

شيّعوهُ يا لهُ من كوكب كان ملءَ العين والقلب ضياء
سارت الدنيا له فى موكب زلزلَ الارضَ وكم أبكى السماء

إن غداً جثمانُه فى العَلَمِ فهو نجمٌ فى هلال ونجومْ
أو بدا فى الموت كالمبتسمِ فجبينٌ قرَّ من دار الهمومْ

نذير وبشير

للدكتور احمد زكى

كل انسان يحمل داءه، وكل حى يتضمن فناءه، ان فاته المرض، أدركه الكبر وحسبك بالكبر داء. والخلية الصغيرة من نبات أو حيوان، فيها البروتوبلازم، وهى معدن الحياة، ولكنها كذلك معدن الموت، تظل تنشط مادبت الروح فى الجسم، فاذا فارقته تنشطت فى التلف، فى التفكك والتحلل، بمثل نشاطها فى الحياة

وجماعات الاحياء على هذه الارض كالاجسام تصحو حينا وتمرض حينا، وهى مثلها فيها اسباب الفناء، فهى لكى تفنى ليست بحاجة الى ان ينقض عليها نجم أو تهوى من سمائها شمس، بل ان فى الارض كفايتها من اسباب العدم. والحياة على هذه الكرة رهينة بموازنات شتى بين أجناس الحيوانات والنباتات من إنسانها ودوابها وطيرها وحشرها وجراثيمها وطحالبها وفطرها وحزازتها وسرخسيها وبذريها، موازنات عمادها التقاتل المستمر بين هذه الاجناس جميعا، والتآكل الذى لا ينتهى، فما من قبيل الا يأكل قبيلا، وما من قبيل الا يأكله قبيل. وقد يزيد حظ هذا القبيل من الحياة وقد ينقص حظ ذلك منها، ولكن الحياة المطلقة فى مجموعها ثابتة فى هذا النضال. وهو نضال سجال، لا يغلب فيه غالب كل الغلبة، ولا ينغلب مغلوب كل الانغلاب، اذ لو كان هذا لاختل التوازن بين جماعات الاحياء، وهو سر استمرار الحياة على النحو الذى نعرفه على سطح هذه البسيطة

والجمعية الانسانية لا تشذ فى ذلك عن جمعيات سائر الخلائق الحية، والتوازن الذى بين الانسان وبينها لابد أن يستمر ليعيش هو وليعشن هن، فنحن نأكل الحيوان والنبات لنعيش، ونموت ليأكلنا الحيوان والنبات بالتباشر أو بالواسطة، فيعوضا بذلك ما فقدا، ولو أننا أكلنا منهما ثم أكلنا واستمررنا مع ذلك فى حياة صريحة لا يخالطها عدم لفنى، المأكول ففنى الآكل

الا أن هذا التوازن قد يختل اختلالا يذهب بجماعة من جماعات الاحياء أو يكاد، وقد حدث فى التاريخ أن انقرضت أجناس لا نجد الآن منها غير آثارها. وسؤالنا اليوم هل يجوز على الجمعية الانسانية ما جاز على تلك الاجناس المنقرضة؟ هل يفسد هذا الاتزان فى ناحية من نواحيه فيهوى بالانسان الى فناء محتم، أو على الأقل ينزل به فى نظام الأرض الى منزلة وطيئة وضيعة، تنقصه عدده، وتقل عدته، وتفقده هذه السيطرة المطلقة الحاضرة على سكان هذه اليابسة؟

لا تشقى مصر جيبا بعده ... يفزع الابطال من شق الجيوب
بل فشقى كل قلب عندهم ... ثم قومى فادفنيه فى القلوب

انثرى الازهار من بين يديه ... فهو يهوى فى منى مصر المنايا
وارتدى صبرك لا تبكى عليه ... إن مجد الشعب تبنيه الضحايا

حبس القبر لديه جثة ... ثم رفت روحها كيما تطيرا
فانشقوها بيننا ريحانة ... والمحوها فوقنا بدرا منيرا

صوروا طائرة فوق الضريح ... واشهدوا الانسر تهوى للفرار
قدمت أرواحها وهو طريح ... فدية لو صح فى الموت الفرار

يانسور النيل طيروا فى علاه ... وردوا الكوثر إن عز الورود
منحتكم مصركم سر الحياة ... فامنحوها كل شىء فى الوجود

هل رأيتم؟ هذه كف العلاء ... تكتب التاريخ يا جند الشباب
سطرت سفر الضحايا بالدماء ... فادرسوا العليا فى هذا الكتاب

هذا ما ينذر به « السير ماكولم وتسن » رئيس «معهد رُسْ الصحى بلندن» وهو رجل اذا قال استُمِع له ، فهو يقول فى مقال قريب انه لا يبالغ اذا ارتأى أن المدنية قد تنتهى باطراد الزيادة فى طرق المواصلات اضطرادا سريعا يسبق العلم فى مكافحته النتائج السيئة التى تنجم عن صلات قريبة بين مناطق الأرض التى لم تصلها الى الآن روابط وثيقة . واتخذ مضربا لمثله الحمى الصفراء . وهى حمى فتاكة ، تبلغ الوفيات منها ٦٠ فى المائه ، وقد بلغت فى بعض الوافدات ٩٤ ٪ ، وهى تنتقل من فرد الى فرد بواسطة جنس خاص من البعوض اسمه Aedes aegypti والفرد السليم بعد عضة البعوضة المعدية له لا يظهر عليه المرض فى الستة الأيام الأولى ولا يكون عندئذ مصدراً للعدوى، فاذا ظهر عليه المرض كان مصــــدرا لها فى الثلاثة الأيام الأولى فقط من ظهور المرض ، فلا بد للبعوض السليم أن يعضه لكى يُعدى المريض فى خلال هذه الأيام الثلاثة فحسب. وهذه البعوضة ذاتها بعد دخول المرض فيها لا تُعدى بالعض إلا بعد عشرة أيام من ذلك ، ولكنها خلافا للانسان تحمل العدوى طول عمرها .

البعوضة ناقلة العدوى مكبرة

والحمى الصفراء تستوطن الآن غرب أفريقيا من السنجال الى انجولا ، وبين هذه المنطقة الوبيئة وما جاورها من سائر افريقيا حواجز طبيعية منيعة ، فبينها وبين شمالها الصحراء الكبرى ، وبينها وبين غربها جبال منيعة ، وفى كلتا الحالين يستغرق الانسان للخروج من هذه المنطقة الى بقية الدنيا اسابيع طويلة مشيا على القدم أو ركوبا على الدواب ، فاذا أصاب المسافر عدوى وسافر عقبها فالموت يدركه أو الشفاء قبل أن يصل الى غايته شمالا أو غربا. كذلك البعوض المصاب لا يَصمُدُ لهذه السفرة الطويلة. وأما وقد امكن الآن ان يصل الانسان الى تلك المنطقة أو يخرج منها بالسيارة أو القطار أو الطائرات فى تسعة أيام فادونها فقد أصبح من المحتمل ان يُعَض المسافر فى السنجال ويبلغه المرض فى مراكش أو تونس أو فى مصر . وجنس هذا البعوض موجود فى تلك البلاد فما هى الا أن يحل بها المريض فيعضه البعوض فتعم البلوى على ان البعوض السنجالى نفسه فى استطاعته أن يسافر على الطائرات ، وقد ثبت ذلك فعلا فقد امتحنت مائة طيارة بعد سفر ١٢٥٠ ميل فوجدان منها اثنى عشرة تحمل بعوضا

واذا دخل المرض افريقيا الشمالية والشرقية فلن يقف عند هذا الحد ، فهو لابد سائر الى جزيرة العرب فالهند فالشرق الأقصى ، إمّا أرضا وإمّا على السفن بحرا وإمّا فى الطيارات جوا ، واذا هو ادرك آسيا انتشر انتشار النار فى الهشيم لزحمة السكان ، ولوجود هذا البعوض بكثرة لا سيما فى المناطق الاستوائية منها ، ففى كولومبو بحثوا المنازل بحثا منظما فوجدوا البعوض فى ٩٨ ٪ منها . وكذلك الحال فى الملايا

واذا طغى المرض على أفريقيا وآسيا هذا الطغيان فقد طغى على أكثر من نصف المعمورة فانقض صرح التجارة وامتنع التبادل بكل أنواعه بين الشرق والغرب ووقفت السفن واعتلّت الحياة واهتزت أسس المدنية اهتزازاً ينذر بالتداعى .

هذا حلم لاشك مريع يقصه علينا « السير وتسن » لا نريد بروايته الا التمثيل بما يمكن أن يحدث للمجتمع الانسانى من جرّاء قبيل دنئ من الاحياء اذا أعطيت له الفرصة للسيطرة على قبيل الانسان — جراثيم صغيرة فتاكة صغرت حتى مرّت فى

المرشحات البكتريولوجية، ودقت حتى لا تراها الميكروسكوب العادية. ولكن الانسان بطبعته يقظ لكل اختلال في اتزان يقع بينه وبين أي قبيل من قبائل الاحياء، ولا أدل على هذه اليقظة من انذار السير ويتسن نفسه، ومن انذارات مثلها سبقته حدثت برجال العلم، وهم جنود البشر في هذا النوع من الكفاح، من زمن بعيد الى دراسة هذه الحمى، أصلها، وموطنها، وناقلاتها، وطرق الوقاية منها، ووسيلة علاجها، وقد خطوا في هذه السبيل خطوات واسعة تدلنا على أن النصر ترائى ولو من بعيد. ففي الشهر الذي ينذرنا فيه عالم بالدمار، يبشرنا علماء آخرون أن الأمل كبير في وقاية السليم بالتطعيم. ذلك أنهم بادئ بدء استكشفوا أن ميكروب الحمى الصفراء اذا عرض للهواء أو لفعل مواد كيماوية كالفرمالين والفينول والجلسرين يفقد بالتدريج شيئاً من حدته، فاذا حقن به السليم عندئذ لا تظهر عليه أعراض المرض الاكلينيكية ولكنه يكتسب بذلك حصانة ضد العدوى. وقد استخدم هذا اللقاح بنجاح في مكافحة وافدة هذه الحمى في عاصمة البرازيل عام ١٩٢٨. لكنهم وجدوا أن تحضير هذا اللقاح لا يخلو من خطر، فانهم اذا أطالوا تعريض الميكروب للمواد الكيماوية المذكورة بلغ به الضعف انه لا يكسب حصانة، واذا قصروا تعريضه كان من القوة بحيث لا يؤمن شره، وفوق هذا فاللقاح بعد تحضيره سريع العطب حتى اذا اختزن في الثلاجات العادية. عندذلك اتجهوا في التفكير وجهة جديدة فذكروا ان المريض اذا نجا اكتسب بمرضه حصانة فلا تأتيه العدوى مرة أخرى ولو تعرض لها، فطلبوا الوقاية في دم هذا المريض الناقه فاستخلصوا منه مصلا حقنوا به الأصحاء فأكسبهم حصانة ضد الداء، ولكنها لم تدم سوى أسابيع قليلة. بعدئذ جمعوا الاثنين معاً، اللقاح والمصل، فوجدوا مدة الحصانة تطول، ولكن لم يزل بذلك الخطر من استخدام لقاح قد يحتوي الميكروب في تمام حدته. فكان لا بد من كشف طريقة جديدة لاضعاف المكروب إضعافاً يذهب بسورته دون الذهاب بحيويته فبلغوا الغاية من ذلك بأمرار الميكروب بمخ الفئران بضع مرات متعاقبة، وحصلوا على ميكروب لا بالضعيف ولا بالقوي، يحقن به الانسان فيتحصن ضد الداء بمقدار ما يتحصن من عاناه. الا ان ملاحظات جديدة أظهرت ان الخطر لم يزل تماما، واهم من ذلك ان دم المحقون بهذا اللقاح الجديد يحتوي الميكروب الحي فهو مصدر خطير لعدوى البعوض. عندئذ فكروا في الجمع مرة أخرى بين هذا اللقاح الجديد وبين مصل الناقهين. لان هذا المصل يزيد حصانة المحقون عقب الحقن فيقاوم فعل اللقاح اذا زاد على الحد، وظن فيه كذلك انه قد يمنع وجود الميكروب الحي في الدم. وقد دلت النتائج على ان الجمع بين هذين يزيد في حصانة المرء زيادة كبيرة دون ان تظهر عليه عقب الحقن أعراض المرض، أو يظهر الميكروب الحي في دمه فيكون سببا في عدوى البعوض فالناس.

والعقبة الوحيدة التي باتت رهينة التذليل هي صعوبة الحصول على المصل من دماء الناقهين من بني الانسان. وحتى هذه يظهر أنها ذللت بما أعلن في نشرة علمية في مايو الماضي من أن الخيل اذا حقنت مرارا متتالية بمكروب الحمى اكتسب دمها القدرة على مقاومة الميكروب، واذن ففي الاستطاعة ابدال دم الخيل بدم الانسان

هذا ما يختص بالبحث في زيادة حصانة الناس حتى لا تفجأهم العدوى وهم غافلون، ولكن لعل أهم من هذا أن يستأصل البعوض الذي ينقل العدوى. وقد جرت أبحاث في ذلك، ولكن عادات هذا البعوض وطريقة معيشته واسلوب إفراخه أعجزت البحاث، فالبعوض يفرخ في الماء ككل بعوض، ألا أنه يفرخ في كل ماء حتى في الحفن الصغيرة منه والاسآر القليلة، في شقوق الشجر أو فلقات الحجر، وفي الكوب والزير وسائر ما يحمل الماء في البيوت. وقد استخدموا الزيت يضعون منه على الماء المكشوف فيمتد فلماً رقيقاً على سطحه فيمنع الافراخ، وينجح هذا بالطبع، ولكن كم من أرباب المنازل في المدن الصغيرة والكبيرة يركن اليه في القيام بهذا، وكيف تصل يد الانسان بالزيت الى كل فجوة وكل نقرة في الاصقاع عامرها واليباب. وجربوا كذلك السمك الصغير يضعونه في مستودعات مياه الشرب في المناطق الحارة، فيأكل العلق قبل ان يستحيل بعوضا. وقد قدر لهذه الوسيلة بعض النجاح

الدكتور اميل رو

(١٨٥٣ — ١٩٣٣)

Dr. Pierre - P. - Emile Roux

للدكتور محمد عوض محمد

فى اليوم التاسع من الشهر الماضى شهدت باريس حشدا هائلا يعلوه الحزن، وتخيم عليه الكآبة: فان فرنسا فى ذلك اليوم كانت تشيع جثمان عالم جليل من أكبر علمائها وهو الدكتور إميل رو، خليفة باستور ومدير المعهد الشهير باسمه زهاء الثلاثين عاما. وقد سار الموكب الخطير: يتقدمه رئيس الجمهورية والوزراء والسفراء والعلماء حتى وصل الى كنيسة نوتردام، حيث أقيمت مراسم الحزن على الفقيد العظيم؛ ثم نقل النعش بعد ذلك الى معهد باستور حيث أودع مؤقتا ذلك السرداب الذى يحوى قبر باستور نفسه؛ وذلك ريثما يقام له ضريح خاص فى حديقة المعهد

ولد إميل رو فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٥٣ فى مقاطعة شارنت (Charente)؛ وبعد أن أتم دراسته الأولى ونال البكالوريا فى العلوم، ذهب يدرس الطب فى مدينة كارمان فران (Clermont Ferrand) أولا ثم فى باريس. وقد اجتذبه الى هنالك وجود استاذه الذى تلقى عليه علم الكيمياء، وهو الاستاذ دلكلو (Dulcaux) وجعل يشتغل محضرا فى معامل استاذه هذا، وفى عام ١٨٧٨ كان الاستاذ باستور يلتمس مساعداً له ممن درسوا الطب. فبدر الاستاذ دلكلو بترشيح رو لهذا المنصب ومن تلك السنة بدأت صلته بالأستاذ الأكبر: تلك الصلة التى لم تزدد على الأيام الا توثيقا؛ والتى لم يقطع حبلها سوى الوفاة



الدكتور إميل رو

لم يمض زمن حتى اصبح رو ألصق الناس بباستور، وجعل هذا يشركه معه فى تجاربه عن النبيذ، وفى ابحاثه فى هيضة الدجاج، والجمرة الخبيثة التى تصيب الماشية، وفى سنة ١٨٨٣ أرسله مع بعض مساعديه الى القطر المصرى لدراسة الهيضة (الكوليرا) الأسيوية التى انتشرت فى بعض أقاليم مصر. وبعد عودته اشترك مع استاذه فى الابحاث التى كان باستور يقوم بها عن مرض الكلب

وفى السنوات التالية أخذ رو ينشر أبحاثا هامة عن مرض الجمرة الخبيثة وبعض الامراض التى تصيب الخنازير. وفى عام ١٨٨٧ وفق الى اكتشاف خطير وهو اكتشاف التوكسين (أى المادة التى يفرزها المكروب؛ فانه استطاع ان يبين للعالم ان المكروب لايؤثر تأثيره بنفسه بل بواسطة مادة يفرزها، وانه فى كثير من الاحيان يمكن عزل هذه المادة. وهذا الاكتشاف أوصله الى

أما المرض وقد أصاب المريض فليس له دواء. امامك المريض يتضور من الالم الشديد، ويقيء الدم الاسود الصديد، قد اصطبغ جلده صفرة، وعلت وجهه وعيناه وخياشيمه حمرة، ولا حيلة لك فيه غير التمريض بتخفيف الاعراض بالثلج وأشباهه ثم الصبر حتى يقضى قضاء الله، كل هذا وأنت نفسك معلق بين الموت والحياة

ولكن مع كل هذا، وبعد كل هذا، أليس يحق للانسان أن يظل يتساءل: أفى الامكان اختلال الاتزان بين قبيل الانسان، وقبيل من سائر الاحياء، ولو دنيا كالذى نحن بصدده، اختلالا لايذهب بسيد الحيوان ويمسح آثاره من رقعة الوجود؟

احمد زكى

اختراعات خطيرة تتعلق بمعالجة بعض الامراض بواسطة المصل ؛ ولهذا يعتبر رو مبتكر العلاج بالمصل Séro therapie ولم يلبث ان وصل الى ايجاد الأمصال ضد مرض الكزاز (tétanos) وضد الطاعون وضد سموم مكروب الالتهاب الرئوى . ولعل أكبر اكتشافاته جميعاً هو اكتشافه لتوكسين الدفتريا ؛ فقد كان هذا هو الخطوة الأولى فى سبيل ايجاد المصل الشافى والواقى من هذا المرض .

فى عام ١٨٩٥ توفى باستور ودفن فى المعهد العظيم المسمى باسمه بالقرب من سان كلو . فخلفه فى ادارة المعهد الأستاذ دلكلو ؛ وكان الدكتور رو نائبا للمدير الجديد ؛ الى ان توفى هذا عام ١٩٠٤ فتولى رو ادارة معهد باستور . وقبل هذا بسنوات انتخب رو عضوا لأكاديمية الطب ، ثم عضوا لأكاديمية العلوم ، وقلد جميع وسامات اللجيون دونير بجميع طبقاتها .

وقد بقى لمعهد باستور رونقه ونشاطه تحت ادارة إميل رو . بل لقد تقدم واتسعت أعماله وانتشرت فروعه . غير أن أعمال رو الادارية كانت كثيرة ومجهدة ، فاستغرقت منه كل وقته ، ولم يكن فى وسعه فى السنين الأخيرة من حياته أن يتفرغ لابحاثه كما كان يفعل من قبل . لكنه كان أكبر مرشد للباحثين ؛ وكان كثير التشجيع للعلماء ، ومن غير شك كان له فضل فى كثير من الاكتشافات التى صدرت عن المعهد اثناء إدارته دون أن تنسب اليه .

وقد قضى رو حياته كلها فى خدمة العلم والانسانية . وعدا جهوده العلمية لم يكن فى حياته حادث يستحق الذكر ؛ فانه لم يتزوج ولو أنه كان كثير العطف على أخواته وأقربائه . وكان شديد التواضع الى درجة إنكار الذات . ومما يؤثر عنه فى هذا الصدد أنه عندما أريد تقليده وسام اللجيون دونير من درجة أوفسيه أبدى امتناعا شديدا وصاح بالحاضرين : « إن شرف الاكتشاف يرجع الى الاستاذ بهرنج . » ولكن الرئيس أمسكه من ردائه بعنف وقلده الوسام بالرغم منه .

***

ان أجل شىء قام به رو هو من غير شك اختراعه العلاج بالأمصال ، وبنوع خاص اكتشافه لتوكسين الدفتريا عام ١٨٨٧ . وهذا الاكتشاف انتفع به الاستاذ الألمانى بهرنج فى ايجاد مصل ضد الدفتريا ، ولهذا أراد رو أن يعزو شرف الاختراع كله لبهرنج ؛ على أن رو نفسه قد استطاع فى سنة ١٨٩٤ أن يستخرج المصل المضاد للدفتريا بطريقة فى غاية الاتقان . وذلك بحقن الخيل بتوكسين الدفتريا واستخراج المصل من دمها . وقد عرض طريقته هذه على المؤتمر الصحى العالمى فى بوادبست سنة ١٨٩٤ فأثر فى سامعيه أبلغ التأثير . وقد منح بعد قليل هو وبهرنج جائزة نوبل . وقد تهافتت عليه الطلبات من مختلف الممالك من أجل ذلك المصل ، ولم يكن بوسعه ان يجيب كل هذه الرغبات . لكنه لم يلبث أن استعان ببعض أصدقائه على نشر الدعوة فى فرنسا لمساعدة المعهد وتوسيع نطاقه . وقد نجح فى هذا كل النجاح . وفى اصطبلات المعهد اليوم مالا يقل عن ٤٠٠ رأس من الخيل من أجل استخراج مصل الدفتريا ؛ الذى بلغ ما انتجته منه فى السنين الاربع الأخيرة زهاء ١٢ طنا أو مايكفى لعمل خمسة ملايين حقنة .

ومنذ زمن طويل تنبه رو الى أهمية المصل كوسيلة للوقاية من المرض لا لمجرد العلاج منه . فقد كتب فى سنة ١٨٨٩ الى بعض زملائه يقول :

« لعل من الممكن قريبا الانتفاع بالتوكسين باستخدامه فى الوقاية من المرض . . »

حقا لقد فقدت فرنسا فى رو عالما كبيرا ، وفقد العالم خادما مخلصا . ولم يكن بعجيب ان قررت حكومة فرنسا أن تحتفل بجنازته احتفالا وطنيا ؟

(ملخصاً عن مجلة السترابيون)

المجـــلة الجديدة

لصاحبها الاستاذ سلامه موسى

بعد عطلة ادارية قاهرة استغرقت ستة وعشرين شهرا من حياة هذه المجلة المصرية القيمة استأنفت صدورها ابتداء من أول هذا الشهر وهى على مايعهده قراؤها واصدقاؤها من طرافة الموضوع وحرية البحث ونزاهة الاسلوب ونبل الغاية . فنرجو للزميلة الفاضلة السداد والتوفيق فيما توخته من خدمة الثقافة عامة والمصرية خاصة

العالم المسرحى والسينمائى

الى القــــراء

من ناقد « الرسالة » الفنى

فجأة ... يتضخم بريد «الرسالة» القراء ويتلقى الاستاذ محررها فى مطلع كل يوم عشرات الرسائل . بعضها من مصر ، واكثرها من الاقطار العربية الشقيقة، يجزع فيها كاتبوها من قراء «الرسالة» وصفوة المفكرين ممن يغارون على هذه المجلة ويطمعون ان تبقى دائما تحمل اليهم رسالة الثقافة والادب العالى ؛ جزعوا عندما أعلنت «الرسالة» انها ستدخل على أبوابها أبوابا جديدة ، وبين هذه الابواب مايختص بالمسرح والسينما . .

وتسألنى فيم اشفاق الأدباء وعلام جزعهم الواضح فى رسائلهم ؟ يشفقون ويجزعون ان تنهج «الرسالة» فى هذين البابين ، المسرح والسينما ، نهج مايقرأون فى بعض الصحف والمجلات الاخرى ، مما لا يتناسب مع مستوى «الرسالة» ، ولا يتلاءم مع ماتنشره فى الابواب الاخرى من الوان الثقافات العالية والآداب الرفيعة . ؟ وأسأل : أهل الفن الذى سطرت صفحاته امثال سوفوكليس وأوربيدس وشاكسبير وموليير وكورنى وراسين ، وإبسن وجوته ، وكين وتلما وساره برنار ، وهنرى ارفنج ؛ وجمعت مكتبته اعمالا خالدات يكاد بعضها ينزل مكان القداسة من النفوس ؛ هذا الفن الذى شب فى احضان الآلهة عند اليونان وكان وسيلة الزلفى اليها والتقرب منها ، هذا الفن الذى يقبس من السماء ليؤدى رسالته على الأرض . ماخوفنا منه وما اشفاقنا من الحديث عنه ؟ أجل ، ان لم نهب هذه القداسة فماذا نهاب ؟ وان لم نخش ان تنتهك هذه الحرمة الغالية فماذا نخشى ؟

كذلك فن السينما اصبح ولا ريب ركناً قويا من أركان الثقافة العامة ، وهو والمسرح من أقوى العوامل اليوم فى تهذيب الجمهور وتثقيف الناشئة فلا يزكو بمجلة راقية أن تغفل هذين العاملين وتهمل أثرهما الصالح فى خدمة الانسانية

للقراء الكرام العذر ان اشفقوا على الرسالة ان تعالجهما من النواحى التى يعالجهما منها بعض الصحف ولكننا نؤكد لهم ان الأمر لايمكن ان يسير على ذلك المنهج

سنكتب ونرجو ان نوفق الى ارضاء قرائنا بقدر ما تحيط به جهودنا ، وان نبدل هذا الجزع اطمئنانا ، وهذا الاشفاق ثقة ، وانى لسعيد فخور اذ أتحدث الى قوم المس فيهم هذا الاهتمام، وأجد فى نفوسهم هذه المكانة لهذا الفن الرفيع .

محمد على حماد

فلم « الوردة البيضــاء »

محمد عبد الوهاب ... ... محمد جلال
سميرة خلوصى ... ... رجاء
دولت أبيض ... ... فاطمة هانم
محمد عبد القدوس ... ... خليل افندى
سليمان نجيب ... ... اسماعيل بك
زكى رستم ... ... شفيق بك
توفيق المردنلى ... ... الشيخ متولى
اخراج : محمد كريم

عرض فى الاسبوع الماضى فى سينما رويال فلم «الوردة البيضاء» وهو بلا شك أول فلم غنائى ناطق من نوعه، ويعد خير الافلام المصرية التى ظهرت الى اليوم ؛ ومن المظنون أنه سيحتفظ بمرتبته هذه طويلا، وقد لقى من النجاح والاقبال مالم يلقه فلم من قبله ، وهــذه العاطفة الجياشة المتدفقة التى قابل بها الجمهور بطل الفلم الاستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب أثناء العرض ، وهذه الهتافات الحارة ومظاهر التقــدير والاعجاب بفناننا الشاب ؛ هى بعض مايستحقه ، وعبد الوهاب يتمتع بمكانة فى نفوس الشعب يغبط عليها ، وقد نالها عن جدارة وكفاية وموهبة سامية رفعته درجات فى سماء المجد والشهرة، ولم يزل الموسيقار العبقرى فى مقتبل العمر ونضرة الشباب

يمتاز هذا الفلم بأشياء كثيرة أولها : أن به قطعة للمغفور له أحمد شوقى بك أمير الشعراء وهى قطعة «النيل» آخر ما وضع شوقى من

الاغانى لعبد الوهاب ،وكان القدر شاء أن تبقى هذه الطرفة الغالية فى مخبئها الامين حتى تظهر فى أول أفلام عبد الوهاب فتضفى عليه من جلالها جلالا ومن سحرها سحراً . وكأنى بأمير الشعر يأبى الا أن يلازم امير الغناء حيا وميتا . ويأبى عبدالوهاب الا أن يظهر الى جانب إحدى صور الفقيد العظيم فى مشاهد هذا الفلم. ويحمد له الناس هذا الصنيع الكريم الذى يتضمن من معنى الاعتراف بالجميل أسماها وأبقاها على الزمن .

كذلك ينفرد هذا الفلم بما أبداه عبد الوهاب من التقدير لمن سبقه من رجال الفن بأظهار صورهم ، وتسجيل اصواتهم فى فلمه الأول ، فرأينا على الشاشة عبده الحمولى والشيخ سلامة حجازى والشيخ سيد درويش ، وقد أدرك الجمهور بحاسته الصادقة ما فى هذا الصنيع النبيل من تقدير عبد الوهاب للسابقين الخالدين من رجال الفن،فقدره قدره وأولاه من أجله ما يستحق من الثناء والحمد الجميل . وعبد الوهاب خليق بالشكر لهذا الشعور الذى لا يصدر الا عن فنان حق .

ومن مميزات هذا الفلم انه يعطى الجمهور ـ فى ثنايا القصة ـ صورة رائعة عن خلق الفنان وشهامته ونبله،وكيف تتسع روحه الكبيرة للتضحية العظيمة عن رضى وكرم ، فى سبيل فكرة أو فى سبيل عاطفة صادقة من الاقرار بالجميل والاعتراف به . وما أروع هذا الموقف الذى ترى فيه « جلالا » وهو ينفذ وعد فنان . . . . ـــ ان يقطع صلاته بحبيبته « رجاء » ثم يكون عند وعده

وهذه الصورة النبيلة التى أرادها عبد الوهاب «لجلال» الفنان . . قد تبرر ما يؤخذ على القصة فى هذه النقطة ، والشخصيات التى تتخيل فيها مثلنا العليا لاتحدها الاعتبارات المألوفة والغايات القصار المدى. ولا شك ان « جلالا » كان مثلا أعلى فى التضحية السمحة الكريمة فرفع شأن رجل الفن وأعلى من مكانته ، وجعله فى مركز أسمى من كل هذه الشخصيات التى ظهرت الى جانبه فى القصة ، وكلها مترفة تنعم بالجاه والمال، وتلقى اينما حلت الاحترام والاجلال ، اما هو فليس اكثر من جلال افندى . . . ولكنه فنان، وحسبه ذلك فخرا وكفى .

أما ميزة الفلم الكبرى بظهور عبد الوهاب فيه فهذا ما أرجىء الحديث عنه الآن

* * *

قصة الفلم بسيطة ، سلسة ، لا تعقيد فيها ولا تشعب ، يتتبعها المشاهد فى سهولة ويسر ، واعتقد انها توافق تماما الغرض الاول الذى رمى اليه من وضع هذا الفلم ومن أسناد دور البطل فيه الى عبد الوهاب الموسيقار ، فشخصية « جلال » هى الشخصية البارزة وتجرى حوادث القصة حولها متخذة من الشخصيات الأخرى بطانة وحاشية لها . على أن القصة تسير فى بطء ، وكان يمكن تفادى ذلك فى وضع السيناريو أو فى التقطيع «ديكوباج» ،وهنا ما سنفصل الحديث عنه فى الكلام عن الاخراج .

قام الأستاذ محمد عبد الوهاب بتمثيل دور « جلال » الشاب الوديع ، الهادىء ، الوقور . . . . وفى عبد الوهاب نفسه كثير من شخصية جلال من هذه النواحى ،ولذلك كان فيه طبيعيا جهد استطاعته. على أن شخصية عبد الوهاب كموسيقار قد طغت على هذه الناحية وخلفتها وراءها وكانت موضع اهتمام الجمهور ، فلا عجب اذا أولاها الناقد القسط الاوفى من عنايته .

والآن . . . هل أنا فى حاجة الى الحديث عن عبد الوهاب الموسيقار ، الملحن ، والمغنى ؟ لا يستطيع أحد أن ينكر على عبدالوهاب الملحن ما أدخله وابتكره فى الموسيقى من الالوان الجديدة الطريفة ، وهذه ألحانه وأغانيه تشهد له بالنضوج الفنى الكامل ، والذوق السليم ، وأن له ملكة الفنان الحق ،الفياضة ، المتدفقة ، التى يغترف من معينها الذى لاينضب ، ويستقى من نبعها الصافى السلسبيل ، أنغاماً تشجى القلب والفؤاد، وتبث فى النفس ألوانا شتى من العاطفة الحية القوية ، فأنت معه : إن بكى أبكاك ، وان طرب أطربك ، وإن وصف خلت انك ترى بالعين ما تسمع بالأذن ، وان شدا حلق بك فى سماء من النشوة أنت فيها هانىء سعيد ، وملأت موسيقاه روحك بخيالات الأمل وأحلام الشباب ، وتنقل بك ما شاء أن يتنقل بين عواطف القلب وميول الفؤاد ،وأنت تنهل من موسيقاه فى شل نبع سائغ عذب حلال .

ولقد جدد عبدالوهاب فى موسيقى التخت الجامدة ، فأدخل عليها بعض الآلات، كما وضع لالحانه توزيعها الموسيقى (اوركستراسيون) فأضفى عليها ثوبا قشيبا من التجديد له خطره وله جلاله .

وعبد الوهاب المغنى حبته الطبيعة بصوت مرن ، يعلو حتى يكد العازف فى تتبعه ، وينخفض حتى لا يكون اكثر من همس الخاطر ،او مناجاة العاشق ، على خوف من الرقباء والعاذلين ، وقد أحسن عبد الوهاب استخدام هذه المرونة كالصانع الحاذق يشكل ما فى يديه كما يشاء ،ويلون فى تموجات صوته معانى ماينشد من الالحان ، فيكسب اللفظ جدة وروحا ، ويبرز لك المعنى بروزا قويا صريحا ، وقد تقرأ اللحن فلا تجد فيه شيئا ، فتسمعه من عبد الوهاب فكأنما

صاغه من جديد صياغة الماهر اللبق ، وما أذكر انى سمعت عبد الوهاب مرة الا واخضلت عيناى بالدموع

يلقى عبد الوهاب فى الفلم ثمانى قطع غنائية ، منها قطعة « الرومبا » التى وضعها على نسق هذا النوع الطريف من الموسيقى الافرنجية ، فأتى فيها بمعجزة ، ولست اقتصد فى القول ولا اتهيب ان أقدم لعبد الوهاب ابلغ آيات الاعجاب على توفيقه فى تلحين هذه الانشودة . كذلك كانت القطعة الختامية التى ينشدها على مقربة من منزل حبيبته ليلة عرسها ، والاسى يقطع قلبه ، والألم يحز فى نفسه . وتراه من خلف القضبان الحديدية متشبثا بها كغريق يتعلق بأمل أخير ، فلا تسمعه ينشد ، وانما يبكى ويسفك الدمع فى اللحن والاغنية حتى لتكون اشبه بنواح بلبل جريح .

وهذا المشهد من الفلم أروع مشاهده ، وما تستطيع ان تملك دمعك فيه ولو كان عصيا ، وقد رفعه عبد الوهاب بأنشودته الى اسمى ذروة من الفن الغنائى والسينمائى معا ، ولو لم يكن لعبد الوهاب من اثر فى الفلم كله الا هذه القطعة ، وهذا المشهد ، لكفى لنعترف له مخلصين بالكفاية النادرة والموهبة المؤاتية الجبارة التى يتفرد بها ملحنا ومطربا . وباقى القطع ليست أقل من هذه فكلها من صنع عبد الوهاب وكفى .

طال بنا القول ولما نته ، ومن الخير ان نكتفى بهذا القدر اليوم على ان نعود للحديث عن الفلم من ناحيته الفنية المحضة فى مقال آخر . ولكن لنهنىء ممثلى الفلم قبلا على ما أبدوه من كفاية فى مواقفهم جميعا ، وما لاقوه من نجاح فى أداء أدوارهم . أما المخرج فلينتظرنا قليلا ، على اننا نكتفى اليوم بان نشد أذنيه فى غير عنف ولا قسوة ، ترقبا للمعركة القادمة فليأخذ أهبته وليعد السيف والترس فسنجول معه جولة لعله لا يصاب فيها بكثير من الجراح والخدوش ؟

باريس

مثلت فى منتصف اكتوبر الماضى فى (تياتر دى بارى) بباريس الرواية الجديدة « الرفيق » التى وضعها المؤلف المسرحى المعروف جاك ديفال أوتقع فى ثلاثة فصول وربعة مناظر وقد نجحت نجاحا كبيرا . وموضوع الرواية روسيا البولشفية ونظام الحياة فيها اليوم . وقامت بالدور الاول الممثلة الفير بوبسكو وساعدتها لهجتها السلافية على أعطاء نبرة اصلية تماثل لهجة الشخصية التى تمثلها . ومن الممثلين الذين اشتركوا فى الرواية اندريه ليفور الذى اشتهر فى رواية « توباز » المعروفة

الحركة المسرحية والسينمائية فى الخارج

بوخارست

وضع طبيب رومانى يدعى ميهاى نايليمينو رواية مسرحية فى أربعة فصول اسماها « أمواج العقل » بطلاها غليوم الثانى قيصر المانيا السابق وبرناردشو الكاتب الانجليزى المعروف . ويقع أحد مشاهدها فى قصر من قصور بروسيا وفى غرفة للتدخين نسقت على أحدث طراز عصرى . وهذه هى الرواية الاولى لهذا الطبيب الا اذا صدقت تلك الاشاعة التى تقول ان الرواية لكاتب مسرحى معروف اختار ان تظهر روايته تحت اسم مستعار لاسباب خاصه .

بونس ايرس

زار فى شهر اكتوبر الماضى بيراندللو الكاتب الايطالى الشهير مدينة بونس ايرس فى امريكا الجنوبية للاشراف على اخراج احدى مسرحياته المعروفة هناك . وقد نجحت الرواية نجاحا كبيرا . وقد القى بيراندللو فى الليلة الاولى لتمثيل الرواية محاضرة عن « المسارح قديما وحديثا » .

نيويورك

كاد ينتهى أوجين أونويل الكاتب الامريكى الشهير من وضع رواية جديدة ، وقد اتبع فى كتابتها طريقة مبتكرة ، فبدلا من تقسيمها الى فصول ، قسمها الى اربع روايات مختلفة تحتوى كل منها على عدة مشاهد ومناظر ، وتمثل على اربع حفلات متتابعة فى اربعة أيام متعاقبة . وتجمع الاربع روايات وحدة الموضوع والفكرة والشخصيات وتكاد تشابه بذلك طريقة الحلقات المعروفة فى عالم السينما

ـــ ألقى مستر ويل هايز من أكبر مديرى الشركات السينمائية فى امريكا محاضرة فى الشهر الماضى فى وشنجطن ذكر فيها بعض الارقام التى تتعلق بصناعة الافلام السينمائية . ونظرة بسيطة على هذه الارقام تستطيع ان تكون منها فكرة عن ضخامة هذه الصناعة التى تعد من أهم الصناعات فى امريكا اليوم . وقد جاء فى اقواله ان ثمانى شركات من التى يشرف عليها تستخدم ٤٩٫٠٠٠ شخص تبلغ مرتباتهم السنوية ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ورأس المال المستخدم فى هذه الشركات يبلغ ١٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات وتدفع شركات السينما الامريكية مبلغ ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فى السنة كضرائب للحكومة



سنشيتا الاسبانية

بقلم حسين شوقي

(سنشيت) الاسبانية بطلة القصة حسناء تبيع برتقالا على عربة، يعاونها فى عملها (بدرو)، وليس هو البطل الآخر للقصة وانما هو شقيقها، وهو صبى لم يعد العاشرة، اما البطل الحقيقى فهو الشاب (خوان) خاطب (سنشيتا): وهو صياد بارع يضارع فى قوته (نبتون) اله البحر، ولكنه جميل الوجه.. اما أقارب (سنشيتا) فلم يعش منهم غير (بدرو) وغير الأم التى تقوم على إدارة المنزل. وكانت (سنشيتا) فى آخر النهار اذا ما فرغت من البيع تدفع العربة أمامها فى طريق الدار، يعاونها فى ذلك (بدرو) و (خوان): وكانت هذه المهمة تستغرق وقتا طويلا على قرب البيت: لأن ذلك الطريق القصير كان يقطع فى مغازلة مستمرة بين الخطيبين: فتارة يقارن (خوان) مابين البرتقال وخد الفتاة فى الحمرة والنضرة: وطوراً تكون ابتسامة رقيقة ذات معان تبعثها (سنشيتا) الى (خوان).. ومرة ثالثة، ملاحظة وقحة من (بدرو) الصبى على أعمال العشيقين. تثير غضب الفتاة: ولو فى الظاهر..

وقد خطب (خوان) الفتاة منذ ثلاث سنين، والخطوبات الطويلة المدى من العادات المألوفة عند الاسبانيين..

اتفق الحبيبان على الزواج لدى عودة (خوان) من رحلة يزمعها بعد أيام قلائل الى بعض الجزر النائية حيث يكثر السمك: وكانت نية الفتى ان ينقطع عن عمله مدة بعد عودته من تلك الرحلة التى سوف تعود عليه بالربح الوفير، يقضيها الى جانب زوجه المحبوبة فى هناء وسعادة..

أزف الرحيل وكان يوما قاتما، كأن الطبيعة تشارك الخطيبين الحزن، وبكرت الفتاة فى الذهاب برفقة شقيقها الى المركب الشراعى الذى يبحر عليه خطيبها، وهو مركب قديم يندر وجوده الآن الا فى أشرطة السينما عن القرصان، وكانت الفتاة تحمل سفطا ممتلئا بالبرتقال أخذت توزعه على (خوان) ورفاقه، أقلع الشراع ولم تكن الا هنيهة حتى غاب عن نظر (سنشيتا) الحاد..

صارت الفتاة تتردد فى غيبة خطيبها الى غابة منعزلة كانا يقصدانها أحيانا أيام العطلة: فتبث شكواها الى أشجار الصنوبر الرءومة: وتعيد على سمعها فى صوت عال — وسط هذه العزلة التامة، تلك الكلمات الرقيقة التى كانت تسمعها من (خوان)، وأحياناً ولا سيما فى الليل كانت تخرج الى الشاطئ لتشاهد الأنوار العديدة الخافقة المنبعثة على صفحة الماء من زوارق الصيد التى تروح وتغدو على مقربة. وفيما هى تعود الى المنزل بعد جولة من تلك الجولات الليلية وجدت شقيقها (بدرو) جالساً الى المائدة يطالع فى شغف كتابا مصورا، فلما رآها التفت اليها قائلا: «(سنشيتا) يحسن ألا تتركى خطيبك يتنقل فى البحار لأنهم يقولون إن حور البحر يخطفن البحارين الحسان!» فابتسمت الفتاة لهذا القول وقبلت أخاها قبلة طويلة فى جبهته. وفى ذات يوم دقت الأجراس فى القرية على غير عادة: فعجبت لذلك (سنشيتا) وكانت إذ ذاك فى حجرتها منهمكة فى ارتداء ثيابها لتخرج الى السوق.. رباه! لماذا تقرع الأجراس: وليس اليوم من أيام الأعياد؟ وإذا (بدرو) يدخل عليها الحجرة بغتة هاشا مسروراً فينبئها بالخبر العظيم.. بعودة (خوان)، وبأن هذه الأجراس انما تقرع تحية له ولرفاقه الصيادين الذين عادوا من رحلتهم الطويلة.. خرجت الفتاة الى الشاطئ وأراد (بدرو) أن يرافقها اليه، ولكن الأم احتجزته معها فى المنزل ليساعدها فى تنسيق مائدة الطعام إكراماً للخطيب المحبوب..

بلغت الفتاة الشاطئ فوجدت السفن راسية والصيادين يعانقون أهليهم وذويهم، ولكن.. (خوان)!.. أين (خوان)؟ أين (خوان) الجميل؟ خوان لم يؤب فقد ابتلعته الأمواج فى ليل عاصف: وهو فى طريق العودة الى الوطن.. ثم دنا أحد الصيادين من (سنشيتا) قائلا: «انتظرى (سنشيتا) سأعطيك نقود خطيبك التعس».. ولكن (سنشيتا) لم تنتظر بل قفلت راجعة الى المنزل.. وعندما بلغت عتبة الدار وجدت شقيقها (بدرو) ينتظر متطلعاً، ثم سألها فى لهفة: «.. ولكن أين خطيبك؟» فاجابته فى هدوء: «لقد احتفظت حور الماء بحارنا الجميل يا بدرو»!

كرمة بن هانىء

حسين شوقي

مثلت فأتقنت التمثيل

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

لقد ألفت البكاء بعد فقد وحيدها واستبدلت بالرقص التنهدات وبالغناء النحيب. كانت تعمل فى أحد المسارح راقصة ومغنية، فأصبحت تعمل فى مسرح الحياة نائحة وباكية.

فى سنة ١٧٧٦ قامت أمريكا تطالب باستقلالها وأعوزتها الجيوش فأرسلت تستنجد فرنسا. أرسلت فرنسا المدد اليها بقيادة القائد لافاييت ذلك العظيم الذى أصبح فيما بعد من زعماء الثورة الفرنسية. نالت أمريكا استقلالها وظلت مساعدة فرنسا لها دينا فى عنقها تترقب الفرص للوفاء به. ولكن الاعوام توالت وما زال هذا الدين غلا فى عنق أمريكا.

وفى سنة ١٩١٤ انفجرت الحرب العظمى فى انحاء أوربا وقامت لها الدول وقعدت. وأخيراً أرسلت فرنسا تطالب بدينها وتلح فى طلب المدد. تذكرت أمريكا لافاييت وجيشه فارسلت جيشها وفاء دين، وتحية اجلال، لروح ذلك البطل الخالد.

وشاعت الانشودة المشهورة « جئنا اليك يالافاييت » فى أمريكا بين صفوف الجند وفى المسارح والمقاهى. أنشدها القوم لحث الشباب على التطوع فى الجيش المرسل مدداً لروح لافاييت ممثلة فى فرنسا، ولكم ألهبت تلك الانشودة من قلوب، ولكم أثارت من حمية الشباب ودفعت بهم زرافات الى صفوف الجيش الراحل الى وطن لافاييت وفاء دين ورد جميل.

شهرت تلك الام بانشاد هذه الانشودة واشتهر وحيدها بأنه أول من تطوع فى هذا الجيش. كانت الام تغنى تلك الأنشودة وهى ترقص رقصة الجندى المقتول — رقصة تمثل وقوع الجندى الباسل فى ميدان القتال فداء الوطن وضحية النصر — فكانت تلهب قلوب المتفرجين حماساً واقداما. وأنشدتها لآخر مرة ليلة رحيل الجيش فى المعسكر، وكان ابنها من أكبر المعجبين بها، والمتحمسين لها. هذه آخر مرة رأت وحيدها وفى الصباح رحل الجيش.

رجع الجيش ولكن وحيدها لم يرجع فقد قتل فى ميدان الحرب شهيداً كما املت عليه تلك الروح التى الهبتها الام بانشودتها. لم يمت فى ساحة الوطن وانما قتل فى ساحة الوفاء!

وانشد الجند « وجئنا اليك يالافاييت » احتفاء برجوعهم الى وطنهم فتقطعت نياط قلب الام حسرة وكمدا. وتمثلت لها الحرب باشنع مظاهرها. فهزأت من الجند الساذج الذى يسير الى الموت فرحا مستبسلا مضللا بكلمات جوفاء كالوطن والحرية والوفاء والشهامة. وازدرت اناشيد الحرب واعلام الحرب، وكل ما يمس الحرب. لانها كلها ليست الا وسائل اغراء الشباب ليقدم على الموت فتنال الامة مطامعها. وهكذا لا بد من ضحايا فى كل فوز؛ ولا بد من ثمن لكل نصر.

بزغت شمس هذا الصباح فتململت الام فى فراشها وانحدر الدمع على صدرها سخينا ملتهبا فتنهدت قائلة « رباه، أما فى دنياك من جديد؟ » ليس هناك جديد لك ايتها الثكلى، فقد حرمت ثمار غرس تعهدته وسهرت عليه فجنى الموت ما كنت اليه تتطلعين، وتمتع الفناء بزهر تعهدته وسقيته دم القلب. ليس لك سوى انشودة تعيدينها ليل نهار هى كل مالك من ذكرى. نعم ليس هنالك سوى انشودة الذكرى فردديها كلما غنت الطيور، ورددها طلوع شمس ومغربها. ردديها ما بقى فيك صوت ينشد، ردديها؛ ولكن آخر ما يسمع من صوتك العذب الرقيق.

صحت الام فى ذلك اليوم يملؤها شعور خفى، انها ستلاقى وحيدها ولكن اين؟ وكيف؟ لا تدرى. لقد دعاها الجند اليوم وتوسلوا اليها لتحضر احتفالهم بمرور عام على وفاة وحيدها. ذهبت ولكنها كانت ذاهلة عن كل ما حولها. يكلمها هذا ويعزيها ذاك فلا تشعر بشيء الا انها ستلاقى وحيدها اليوم.

وعزفت الموسيقى بأنشودة « جئنا اليك يالافاييت » فاندفعت الأم نحو المنبر بشعور غريب وبدأت تغنى وترقص رقصة الجندى المقتول، كما كانت ترقصها ليلة ترحيل الجيش. تسمع الجند اليها بقلوب باكية، وعيون ينهمر الدمع منها انهماراً. لقد رأى كل منهم الموت بعينه فبكى، ورأى أصدقاءه يترنحون قتلى فى ساحة الحرب فما ذرفت عينه نصف ما ذرفت لمنظر تلك الأم الثكلى ترقص رقصة تمثل وحيدها يقع قتيلا فى الحرب. سمعوا المدافع والطبول وسمعوا الانين وحشرجة الموت فما هلعت قلوبهم ولا وجلت مثلما وجلت لسماع صوت الأم وهى تنشد أنشودة دفعت ثمنها غاليا.

وترنحت الأم فى رقصتها استعدادا لسقطة الموت الأخيرة — سقطة تمثل سقطة الجندى الباسل مقتولا فى ساحة الحرب. وهنا

رأت وحيدها ! نعم رأته يسير اليها بطيئا مهيباً ! يسير اليها هى بعد ان قام من بين صفوف الجند ماداً ذراعيه نحوها . فصرخت صرخة مروعة « ولدى . . . . ولدى . . . الى يا ولدى »

وسقطت كما يسقط الجندى المقتول فى ساحة الحرب ؟

سهير القلماوى

صـــــــه !

للقصصي الروسي تشـــيكوف

يعود ايفان كرازنوكين ،وهو محرر متوسط فى صحيفة يومية ، دائما لمنزله فى ساعة متأخرة من الليل مكتئبا حزينا، على سمته الوقار وفى مشيته الجلال . واحيانا تراه جامعا أشتات فكره مستغرقا بكليته فى تصوره . كانما يترقب ان يفتش أو يفكر فى الانتحار .

ذرع أرض غرفته ، ثم توقف ونفش شعره وقال فى لهجة «لايرتس» متقمالاخته : « ابنى حائر تعب ملتاع الى ابعد قرارات النفس . ان الحزن يجثم على قلبي ، ويهيمن على جسمى ؛ ومع هذا فلزاما على ان اجلس لأكتب . . وهذا ما يسميه الناس «العيش» .

« ليت شعرى لم لم يصف كاتب حتى اليوم هذا الخبل الذهنى المؤلم ، وهذا الاضطراب الفكرى الشديد الذى يعذب روح المؤلف ويؤلم نفسه . فعندما يكون حزينا حزنا يذيب لفائف القلب ؛ يجب عليه ان يبعث الجمهور على الطرب المستخف والسرور العظيم . وعندما يكون فرحاً فرحاًيثلج الصدر ويبهج القلب يجب عليه ان يرسل الدمع الهتان وينفث الحزن الدفين .

اجل ! يجب على ان اكون مرحا مستهترا لا أكترث لشيء ولا احفل به . مليح النكتة بارع الدعابة عند ما ينوء بي الهم ويقتلني الحزن . حتى اذا كنت — دعنى اقول — مريضا . . . اذا كان طفلى فى نزعه الاخير . . . وكانت زوجى تنهشها الاحزان وتفترسها الآلام

لما فرغ من قوله هز جمع يده وادار حماليقه . ثم دلف الى المخدع وايقظ زوجه . وقال :

« ناديا ! . . سآخذ فى الكتابة . ارجو ان تحرصى على الا يقاطعنى احد او يمنعنى من العمل انسان . فما استطيع الكتابة والجدى ينب والطاهى يغط ! ثم قدمى ايضا بعض الشاى وشريحة من اللحم — اذا امكن — فانت تعرفين انى لا اوفق الى الكتابة الا اذا شربت شايى ، فالشاى وحده هو الذى يبعث فى القوة على العمل .

اخذ سمته الى غرفته وخلع معطفه وصدريته وحذاءه . نضا عنه ثيابه بتأن تام . ثم كون ملامح وجهه حتى اصبحت تعبر عن الانسان البرىء المعذب ، وجلس الى مكتبه .

على هذا المكتب لاتقع عين الانسان على حقائر الاشياء اليومية وصغائرها . فكل الاشياء وانتهها تنقلب ذات معنى ، ويظهر عليها برنامج عابس ! هنا تماثيل نصفية وصور شمسية لمؤلفين عظيمى الشهرة ذائعى الصيت . وهناك كوم من المخطوطات ومجلد بمؤلفات بلينيسكى ومنه صفحة مقلوبة . ثم عظام رأس تستعمل محبرة وصفحة من جريدة طويت كما يتفق . بيد انها تعرض عمودا معلما عليه بالقلم الازرق بالخط العريض ، جبان ، وهناك جمهرة من الاقلام المبرية حديثا وريش باسنان جديدة . حتى لا يمكن لاى سبب خارجى اوحادث عارضى ان يمنع التحليق السامى لهذه المخيلة المبدعة !!!!

القى كرازنوكين نفسه على كرسيه المريح وراح يفكر فى موضوع فسمع زوجه تضرب الارض بخفها وهى تشقق قطع الخشب (للسماور) وخيل اليه انها مازالت وسنانة لان غطاء السماور او رجله كان يسقط من يدها بين آونة واخرى . ووصل الى سمعه نشيش المغلاة وازيز اللحم المقلى ، وزوجه مازالت تشق الخشب مفرقعة قرب الموقد . مغلقة بشدة باب الفرن مرة . وأخرى باب النافذة الهوائية ، وآونة اخرى باب المدفئة . فارتجف كرازنوكين وفتح عينين يملؤهما الرعب ويتطاير منهما الشرر . واخذ ينشق الهواء ويلهث ، رحمتك اللهم ! . . . دخان الفحم ؟ . . . هذه المرأة التى لاتطاق عزمت على خنقى . . قل لى بالله كيف اوفق للكتابة فى حالات كهذه ؟ » .

جرى الى المطبخ يولول وينوح ، وبعد برهة عادت زوجه تمشى على اطراف اصابعها مقدمة له قدحاً من الشاى فوجدته جالسا على كرسيه الطويل كما كان من قبل ! لايبدى حراكا ولا يحرك جارحة غارقاً فى موضوعه ، فلم يتحرك ؛ واخذ ينقر بخفة على جبهته باطراف اصابعه متظاهرا بانه لايلاحظ وجودها ووجه يعبر مرة ثانية عن : « البرىء المعذب » .

قبل ان يكتب العنوان اخذ يتملقه ويدلله مدة طويلة ! كانه عذراء اهداها بعض الناس مروحة جميلة ! آونة يمر بيديه على

صدغيه وأخرى يرتجف ويهتز جميعه ساحبا قدمه من تحت كرسيه كالمتألم . مغلقا نصف عينيه بفتور كقطة على فراش .

وأخيراً بعد تردد دنا من الدواة وسطر العنوان وكانه يوقع صك الموت . . . .

سمع صياح ابنه : « ماما ! . . قليل من الماء »

فاجابته امه « صه ! . . بابا يكتب . . . صه ! »

كان الاب يكتب بسرعة مدهشة دون توقف ، دون ان يمحو حرفا اويشطب كلمةوليس عنده من الوقت مايتسع لقلب الصفحات اما التماثيل النصفية والصور الشمسية لمشهوري المؤلفين فكانت ترقب يراعه الجوال وقلمه السيال وكانها تفكر (اها . . . اخواه استمر . . . .)

خدش القلم « صـــه »

فجلجل المؤلفون وقد اهتزوا بدفعة من ركبةالكاتب « صه » عاد كرازنوكين الى نفسه ووضع قلمه وتسمع . فسمع همسات متزنة لا تنقطع . وكان ذلك صوت فوما نيكوليتش الساكن معهم وهو يصلي في الغرفة المجاورة .

فناداه كرازنوكين « أعرني سمعك ! . أما تستطيع الصلاة . . باسرع من هذا ؟ . . انك تحول بيني وبين الكتابة »

فاجابه فوما نيكوليتش بحياء ووداعة « استميحك العفو ياسيدى » « صه ! »

بعد أن كتب صفحات خمسا تمدد ونظر الى الساعة وتأوه . « ياللسماء ! . . الساعة الثالثة ! . . الناس جميعا مستريحون نيام . . . وأنا وحدى . . أنا . . يجب على أن اعمل »

بعد أن استفرغ العمل جهده وأفنى قوته أخذ طريقه الى المخدع ضارع الجسم ، واهن القوى ورأسه ساقط على عاتقه . ايقظ زوجه صائحا بها مكدود الصوت « ناديا . . . قدحاً آخر من الشاى . . . انى . . . انى اشعر بضعف »

كتب الى الساعة الرابعة وود لو استمر فى كتابته الى الساعة السادسة بيد أنه أنجز عمله وفرغ من موضوعه

زهوه العجيب وفرحه الغريب بهذه الاعمال الجامدة ولا بصيرة عنده ولا فراسة له ! استبداده وجوره ، عسفه وظلمه ، فى مسكن النحل الصغير الذى خولت له الاقدار السلطان عليه واعطته مقاليد الامر فيه . هذه عنده أطايب الحياة وزبدة ما فيها .

كم يشابه هـــذا الاستبداد الذى تراه فى المنزل هذه الاجناس الذليلة الصامتة التى يخالط كلامها التورية والتى اعتدنا رؤيتها فى مكاتب الصحف .

قال لنفسه وهو ذاهب لفراشه « انى تعب جدا حتى يخيل الى انى لن استطيع النوم . . . فعملنا الجهنمى الذى لا نلاقى منه جزاء ولا شـــكورا لا يجهد الجسم كما يجهد القريحة ، على أننى سأتناول مقويا . . والله يعلم لو لم يكن هذا الخير الأسرة لنفضت منـــه يدى . . . . آه . . انه مرعب ان يكتب الانسان ويجبر على العمل هكذا ! ! »

استغرق فى سبات عميق . . . فنام حتى الساعة الواحدة أو الاثنتين بعد الظهر ، ومن الذى كان ينامه أطول أو يحلم الذ . . اذا كان مؤلفا مشهورا أو محررا بارعا . أو حتى ناشرا ؟

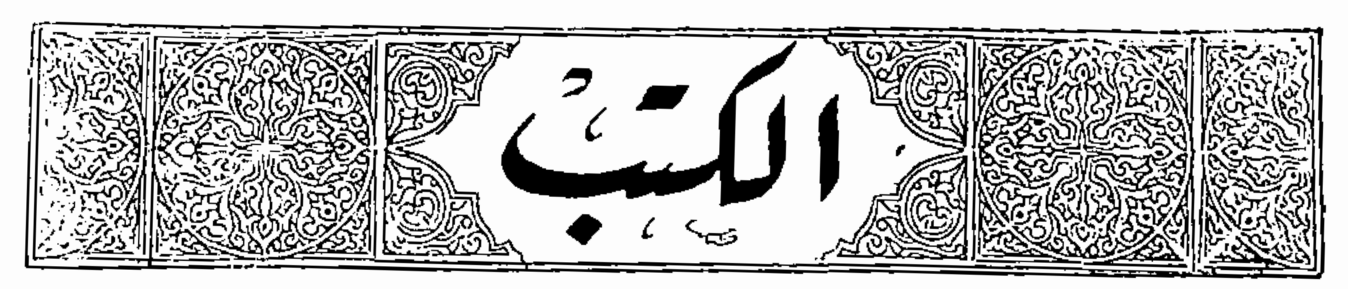
همست زوجه بوجه مرتاع « كتب سحابة الليل ! . . صه ! »

ما جرؤ أحد على الكلام أو السير أو التصويت فنومه مقدس ومن يذنب فيقطع هذا السكون ويشوش هذا الهدوء . فعليه أن يدفع عن هذا غاليا .

« صه ! . . . . صه ! »

ورن هذا الصوت فى جميع الحجرات ؟

محمود البدوى



على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

مقدمة

هذه صحف لم تكتب للعلماء، ولا للمؤرخين، لأني لم ارد بها الى العلم، ولم اقصد بها الى التاريخ؛ وانما هي صور عرضت لي اثناء قراءتي للسيرة فاثبتها مسرعا. ثم لم ار بنشرها بأسا، ولعلي رأيت في نشرها شيئا من الخير. فهي ترد على الناس اطرافا من الادب القديم، قد افلتت منهم وامتنعت عليهم. فليس يقرؤها منهم الا اولئك الذين اتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة في الادب العربي القديم. وانك لتلتمس الذين يقرأون ما كتب القدماء في السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم. انما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الادب الحديث بلغتهم او بلغة اجنبية من هذه اللغات المنتشرة في الشرق. يجدون في قراءة هذا الادب من اليسر والسهولة ومن اللذة والمتاع ما يغريهم به ويرغبهم فيه؛ فاما الادب القديم فقراءته عسيرة وفهمه أعسر، وتذوقه اشد عسرا. وان هذا القارىء الذي يطمئن الى قراءة الاسانيد المطولة والاخبار التي يلتوي بها الاستطراد وتجور بها لغتها القديمة الغريبة عن سبيل الفهم السهل، والذوق الهين الذي لا يكلف مشقة ولا عناء.

ذلك الى ان الادب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو ثابتا مستقرا لا يتغير ولا يتبدل؛ ولا يلتمس الناس لذته الا في نصوصه يقرأونها ويعيدون قراءتها ويستظهرونها، ويمعنون في استظهارها؛ انما الأدب الخصب حقا هو الذي يلذك حين تقرأه لأنه يقدم اليك ما يرضي عقلك وشعورك، ولأنه يوحي اليك بما ليس فيه، ويلهمك ما لم تشتمل عليه النصوص. ويعيرك من خصبه خصبا، ومن ثروته ثروة، ومن قوته قوة، وينطقك كما أنطق القدماء، أو لا يكاد، يستقر في قلبك حتى يتصور في صورة قلبك، او يصور قلبك في صورته. واذا انت تعيده على الناس، فتلقيه اليهم في شكل جديد يلائم حياتهم التي يحيونها، وعواطفهم التي تثور في قلوبهم، وخواطرهم التي تضطرب في عقولهم.

هذا هو الادب الحي، هذا هو الادب القادر على البقاء ومناهضة الايام. فاما ذلك الادب الذي ينتهي اثره عند قراءته فقد تكون له قيمته، وقد يكون له غناؤه؛ ولكنه ادب موقوت يموت حين ينتهي العصر الذي نشأ فيه. ولو انك نظرت في اداب القدماء والمحدثين، لرأيت منها طائفة لا يمكن ان توصف بأنها اداب عصر من العصور او بيئة من البيئات، او جيل من الاجيال، وانما هي اداب العصور كلها والبيئات كلها والاجيال كلها. لا لأنها تعجب الناس على اختلاف العصور والبيئات والاجيال فحسب، بل لأنها مع ذلك تلهم الناس وتوحي اليهم، وتجعل منهم الشعراء والكتاب والمتصرفين في الوان الفن على اختلافها

وليس خلود الالياذة يأتيها من انها تقرأ فتحدث اللذة، وتثير الاعجاب في كل وقت، وفي كل قطر، بل هو يأتيها من هذا ومن انها قد الهمت، ومازالت تلهم الكتاب والشعراء، وتوحي اليهم باروع ما أنشأ الناس من آيات البيان. ولقد كان ايسكولوس ابو التراجيديا اليونانية يقول: انه انما يلتقط ما يسقط من مائدة هوميروس، ومازال القصاص وشعراء التمثيل والغناء في الغرب خليقين ان يقولوا الآن ما كان يقوله ايسكولوس منذ خمسة وعشرين قرنا، ولم تكن قصص ايسكولوس وغيره من شعراء التمثيل اليوناني اقل خصبا من الالياذة، بل هي قد الهمت من الهمت من الكتاب والشعراء قديما وحديثا، ومازالت قادرة على أن تلهمهم الى اليوم والى غد. واني لأذكر اني قرأت منذ أعوام قصة تمثيلية هي الثامنة والثلاثون من نوعها وقد سماها صاحبها، جيرودو، وبهذا الرقم. فوضع لها هذا العنوان «انفيتريون رقم ٣٨» كانت اسطورة تتصل بمولد هيرقل، فصورها سوفوكل قصة تمثيلية في القرن الخامس قبل المسيح. وما زال الشعراء والكتاب من اليونان والرومان والاوربيين المدنيين يتأثرونه ويذهبون مذهبه اوغير مذهبه في تصوير هذا الموضوع حتى انتهت القصص التي كتبت فيه شعرا ونثرا الى هذا العدد الضخم؛ ولم يحجم فحول التمثيل عن طرق هذا الموضوع لأنهم سبقوا اليه، بل زادهم ذلك حرصا عليه، ورغبة فيه، وكان بين الذين طرقوه الشاعر اللاتيني بلوت، والشاعر الفرنسي موليير. ثم لم يشفق جيرودو من ان يطرق موضوعا سبقه اليه الفحول من شعراء التمثيل

فى العصور القديمة والحديثة . فصور قصته هذه الثامنة والثلاثين وعرضها على النظارة فى باريس سنة ١٩٢٩ ، فكان فوزها عظيما واعجاب النظارة والقراء بها لا حد له .

وفى أدبنا العربى على قوته الخاصة ،وما يكفل للناس من لذة ومتاع، قدرة على الوحى. وقدرة على الالهام . فاحاديث العرب الجاهليين واخبارهم لم تكتب مرة واحدة ،ولم تحفظ فى صورة بعينها، وانما قصها الرواة فى الوان من القصص،وكتبها المؤلفون فى صنوف من التأليف، وقل مثل ذلك فى السيرة نفسها ،فقد ألهمت الكتاب والشعراء فى اكثر العصور الاسلامية وفى اكثر البلاد الاسلامية ايضا . فصوروها صوراً مختلفة تتفاوت حظوظها من القوة والضعف والجمال الفنى، وقل مثل هذا فى الغزوات و الفتوح. وقل مثل هذا فى الفتن والمحن التى اصابت العرب فى عصورهم المختلفة . ولم يقف إلهام هذا التراث الادبى العظيم عند الكتاب والشعراء الذين ينمقون النثر ويقرضون الشعر فى اللغة العربية الفصحى ؛بل تجاوزهم الى جماعة من القصاص الشعبيين الذين تحدثوا الى الناس فى صور مختلفة واشكال متباينة بما كان لآبائهم من مجد مؤثل ؛ وبما اصاب أباءهم من محن مظلة ، وفتن مدلهمة ؛ عرفوا كيف يثبتون لها ويصبرون عليها ، ويخرجون منها كراما ظافرين ، ولا خير فى حياة القدماء اذا لم تلهم المحدثين ولم توح اليهم بروائع البيان شعرا ونثرا ، وليس القدماء خالدين حقا اذا لم يكن الهامهم الا عند انفسهم ، ولا تعرف ابناؤهم الا فيما تركوا من الدواوين والاسفار ، انما يحيا القدماء حقا ،ويخلدون حقا ،اذا امتلأت بصورهم وأعمالهم قلوب الأجيال مهما يبعد بها الزمن . وكانوا احديثا للناس اذا لقى بعضهم بعضا ، وكنوزا يستثمرها الكتاب والشعراء لأحياء مايعالجون من الوان الشعر وفنون الكلام .

الى هذا النحو من احياء الادب القديم ،ومن احياء ذكر العرب الاولين قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب . ولست اريد ان اخدع القراء عن نفسى ولا عن هذا الكتاب ، فانى لم افكر فيه تفكيرا ؛ ولا قدرته تقديرا ؛ ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون ، انما دفعت الى ذلك دفعا ، وا كرهت عليه اكراها ، ورأيتنى اقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ،ويفيض بها قلبى ؛ وينطلق بها لسانى ، وإذا أنا أملى هذه الفصول وفصولا أخرى ارجو ان تنشر بعد حين

فليس فى هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ولا محاولة للاجادة ولا اجتناب للتقصير ، وانما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما اجد من الشعور حين اقرأ هذه الكتب التى لا اعدل بها كتبا اخرى مهما تكن ، والتى لا أمل قراءتها ، وآنس اليها ؛ والتى لا ينقضى حبى لها واعجابى بها ، وحرصى على ان يقرأها الناس . ولكن الناس مع الاسف لا يقرأونها لأنهم لا يريدون ، او لأنهم لا يستطيعون . فاذا استطاع هذا الكتاب ان يحبب الى الشباب قراءة كتب السيرة خاصة وكتب الادب العربى القديم عامة ، والتماس المتاع الفنى فى صحفها الخصبة . فانا سعيد حقا موفق حقا الى احب الأشياء الى وآثرها عندى .

واذا استطاع هذا الكتاب ان يلقى فى نفوس الشباب حب الحياة العربية الاولى ، ويلفتهم الى ان فى سذاجتها ويسرها جمالا ليس اقل روعة ولا نفاذا الى القلوب من هذا الجمال الذى يجدونه فى الحياة الحديثة المعقدة ؛ فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد .

واذا استطاع هذا الكتاب ان يدفع الشباب الى استغلال الحياة العربية الاولى واتخاذها موضوعا قيما خصبا، لا للانتاج العلمى فى التاريخ والادب الوصفى وحدهما بل للانتاج فى الادب الانشائى الخالص . فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد .

ثم اذا استطاع هذا الكتاب أن يلقى فى نفوس الشباب أن القديم لا ينبغى أن يهجر لانه قديم ، وأن الجديد لا ينبغى أن يطلب لانه جديد ، وانما يهجر القديم اذا برىء من النفع وخلا من الفائدة ، فان كان نافعا ومفيداً فليس الناس أقل حاجة اليه منهم الى الجديد فانا سعيد موفق الى بعض ما أريد

وانا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ؛ ولا يثقون الا به ، ولا يطمئنون الا اليه ،وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التى لا يسيغها العقل ولا يرضاها، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار ؛ وجده فى طلبها وحرصه على قراءتها والاستماع لها ، وهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الاخبار والاحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشىء لانهم سيقرأون فيه طائفة من هذه الاخبار والاحاديث التى نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس ، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شىء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة الى الغذاء والرضى من العقل ، وأن هذه الاخبار والاحاديث اذا لم يطمئن اليها العقل ولم يرضها المنطق ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمى ، فان فى قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم

وخيالهم وميلهم الى السذاجة واستراحتهم اليها من جهد الحياة وعنائها ما يحبب اليهم هذه الاخبار ، ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتمسوا عندها الترفيه على النفس حين تشق عليهم الحياة . وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل على أنها حقائق يقرها العلم وتستقيم لها مناهج البحث ، ومن يقدمها الى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش

وأحب أن يعلم الناس أيضا انى وسعت على نفسى فى القصص ومنحتها من الحرية فى رواية الاخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا الا حين تتصل الاحاديث والاخبار بشخص النبى أو بنحو من انحاء الدين ، فانى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة ، وانما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين .

ولن يتعب الذين يريدون أن يردوا فصول هذا الكتاب القديم فى جوهره وأصله ، الجديد فى صورته وشكله ، الى مصادره القديمة التى أخذ منها ، فهذه المصادر قليلة جداً لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى . وليس فى هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث الا وهو يدور حول خبر من الاخبار ، ورد فى كتاب من هذه الكتب ، فاذا اتصل الخبر بشخص النبى فانى أرده الى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع اليه ، لأحتمل فى ذلك تبعة خاصة لانى لا أذهب فيه مذهبا خاصا الا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير ، واستنباط العبرة ، والوصول بها الى قلوب الناس

فليسر الله سبيل هذا الكتاب الى النفوس ، وليحسن الله موقعه فى القلوب ؟

طه حسين

بيير فيلليه

(بقية المنشور على صفحة ٦)

بعضهم من بعض أو تقليد المؤلفين بعضهم لبعض لا يعنى أصحاب الاستقصاء من العلماء وحدهم ، وانما يمكن أن يقال فى كتبه كلها ما قاله اميل بوترو حين قرأ كتابه الأول : « إنه يظهر فى هذا الكتاب مفكراً مرويا ، ماهرا ، نفاذا ، فيلسوفا ، يمس بدقة غريبة أخفى الفروق ، وما بين الافكار والآراء من صلات » .

ولكن أتراه انفق جهده الضعيف الخصب كله فى درس مونتينى ؟ ألم ينتبه الا الى طبعة كتاب مونتينى التى ظهرت سنة ١٩٢٢ والتى وصفها اخصائى ماهر هو المسيو هنرى شمار فقال انها توشك أن تبلغ الكمال . كلا . فلنذكر كتابه الذى سماه مصادر الآراء فى القرن السادس عشر ؛ أو كتابه عن المصادر الايطالية لمقالة الدفاع عن اللغة الفرنسية الذى يظهر فيه بين ما أظهر من الغرائب أن القسم الذى يثبت فيه ديلليه مساواة اللغة الفرنسية للاتينية واليونانية ليس الا ترجمة من كتاب سبرون سبيرونى ألفه فى مدح اللغة التسكانية . ولنذكر ابحاثه عن دوبينيه وأبحاثه عن مونلوك ؛ وأحدث كتبه الكبرى (مارو ورابليه) . فهو قد عنى بروضته وهى هذه الروضة النضرة روضة النهضة الفرنسية ، فلم يهمل منها شيئا .

ثم هو لم يكتف بخدمة الآداب ، وانما انفق اعظم جهده المادى والعقلى والشعورى فى الاحسان الى اصدقائه المكفوفين . فعاش كما عاش فالنتان هاوى ؛ وبراى ؛ وموريس دى لاسيزيران . وقد استحق من المكفوفين تقديس ذكراه بكتابه « عالم المكفوفين » وكتابه « تربية المكفوفين » وباحسانه اليهم فى غير انقطاع .

اما حياته الخاصة ، اما المعونة التى وجدها عند زوجه بنت أميل بوترو التى تأثرت بوفاة امها لابيها ، فلم تفارق زوجها يوما واحداً والتى كادت تموت معه يوم ٢٤ اكتوبر ؛ فلا استطيع ان اشير اليها الا فى خفة وسرعة ، وحرص شديد على ماينبغى من التحفظ . ولكن جميع الذين عرفوا بير فيلليه وأحبوه يرون من الخير والعدل أن أقول فيه ما قاله مونتينى حين تحدث عن صديقه ابتين دى لابويسى : « انى أعرف كثيراً من الناس يمتازون بانحاء من الخير والجمال ، هذا يمتاز بالعقل ، وهذا يمتاز بالقلب ، وهذا يمتاز بالمهارة ، وهذا يمتاز بالضمير ، وهذا يمتاز بالحديث ، وهذا يمتاز بعلم ، وهذا يمتاز بعلم آخر ، اما هذا فقد كان حقا ذا نفس مليئة وكان يستقبل الاشياء كلها احسن استقبال : نفسا من تلك النفوس التى وسمها القدم بسمة العتق والرق الصحيح » ؟